

المعرفة في التصور الإسلامي مصادرها وخصائصها

بقلم

الأستاذ الدكتور

أحمد عبد الحميد الشاعر

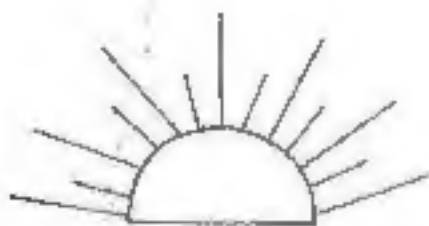
أستاذ العقيدة والفلسفة

هذا البحث

هو الجزء الثاني والأخير من (المعرفة في التصور الإسلامي)

والذي نشر في جزئه الأول في العدد الحادي والعشرين

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م



أصبح من المؤكد أن الإنسان - بحكم موقعه الذاتية والخارجية - يشغل دوماً بالبحث عن معرفة كل ما يحيط به من أشياء ، وفي ذات نفسه أيضاً ، فيحاول - حينه - أن يتعرف عليها من حيث طبيعتها ، والعقل التي تحكمها ، والغاية منها الخ .

إن هذا الأمر الطبيعي الذي يؤدي إلى تنوع المعارف التي نحصل عليها

سواء في مصدرها : حسية أم عقلية ، فطرية أم مكتسبة ، ربانية أو إنسانية .

وسواء في طبيعتها : جزئية أم كلية ، عامة أم خاصة .

وسواء في قيمتها : خلقية أم يقينية أم احتمالية .

وسواء في ذاتها ونسبتها : مطلقة أم نسبية ، أصلية أم فرعية .

بيد أننا حينما نطرح موضوع المعرفة للبحث والاستقصاء ، والتمحيص فإننا نلاحظ من الطبيعي أن نذكر تلك المعرفة من نوع خاص جدير أن يشغل به العلماء ، والمفكرون والحكماء " وما يعقلها إلا العالمون " .

من هذا كانت تلك التساؤلات التي نعرض أنفسنا :

ما المراد بتلك المعرفة ؟

وما أهميتها ؟ وما قيمتها ؟ وما حكم العلم بها ؟

وما مصادر تلك المعرفة ؟

ولئن تلك المصادر من طبيعة الإنسان وتكوينه ؟ الخ .

ليبين ذلك نقول وبالله التوفيق :

إن ذلك النوع من المعرفة التي يكرس له الباحثون جهودهم تعني به بما يسمى : المعرفة للعليا ، أو حقيقة الحقائق ، أو الحقيقة المطلقة الخالدة التي تكمن وراء هذا الوجود ، ومنها يستمد كل موجود وجوده ، وتهيمن عليه خلقاً وإبداعاً ورعاية ، وحكماً وتديباً .

ويقال عنها : إنها البحث عن أسرار الوجود وعلاه ، أو علم الأشياء بحقائقها ، كما تسمى الفلسفة العليا ، أو الفلاسفة الأولى ، أو الميتافيزيقا .

إنها المسئول عنها دائماً ، من أين ؟ وإلى أين ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ أما قيمة تلك المعرفة وأهميتها فإنها تتعلق بقيمة موضوعها الذي هو الغاية القصوى منها - الحق تبارك وتعالى .

ذلك أن الإنسان قد خلق لغاية كبرى هي عبادة الله تعالى - وحده لا شريك له - تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُنَظَّمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [سورة الذاريات : ٥٦ : ٥٨] ، ومن ثم يصبح من الطبيعي أن يمشق البحث عنه ، ويشتاق إليه ، حيث يتعرف على معبوده بحق ، ويعلم - بيقين - ما يليق بذاته الغسية من صفات الجلال والكمال .

بهذا جاءت الرسالات السماوية * ذلك أن الأنبياء * - عليهم السلام - دعوا للناس إلى عبادة الله أولاً بالقلب واللسان ، وعبادته متضمنة لمعرفته وذكره . (١)

ويضيف ابن تيمية قائلاً :

* ففاتحة دعوة الرسل : الأمر بالعبادة - قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَاللَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ وقال رسول الله (ﷺ) : « لمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » وذلك

يتضمن الإقرار به ، وعبادته وحده ، فإن الإله هو المعبود - ولم يقل حتى يمشيوا إلا رب إلا الله - فإن اسم الله لئلا على مقصود العبادة له ، التي لها خلق الخلق ، ربها أمروا .

كذلك قوله ليعاد : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله * وقال نوح عليه السلام " أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون " وكذلك الرسل في سورة الأعراف وغيرها (١)

يريد - رحمه الله - ما جاء في سورة الأعراف بقوله تعالى عن نوح عليه السلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٢) .

وعن هود عليه السلام ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٣) .

وعن صالح عليه السلام ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٤) .

وعن شعيب عليه السلام قوله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٥) .

كما يريد - رحمه الله بغير الأعراف الكثير من سورة القرآن الكريم التي ورد فيها بيان أول دعوة الأنبياء - عليهم السلام - مثل سورة هود ، وسورة الشعراء وغيرها .

١ - نفسه من (١١ - ١٣) .

٢ - سورة الأعراف الآية رقم : (٥٩) .

٣ - سورة الأعراف الآية رقم : (٦٥) .

٤ - سورة الأعراف الآية رقم : (٧٣) .

٥ - سورة هود الآية رقم : (٨٤) .

على ضوء هذا وغيره يقرر شيخ الإسلام " أن أول الواجبات هو الإيمان بالله لا للنظر " (١) .

بينما يرى غيره من العلماء كالسنوسي - رحمه الله - أن أول واجب على المكلف هو النظر فيقول " جمهور الأئمة يرون وجوب النظر وتحريم الاختصار على للتقليد " .

ويوضح النظر بقوله : " حقيقة النظر : ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعمال ما ليس بمعلوم ، كذا عرفه الفيضاني " .

وبعد أن يستعرض آراء العلماء في حكم النظر يقرر رأيه المختار مع التعليل فيقول " أخذت من هذه الأقوال : أن أول واجب هو للنظر لتكرار الحديث على النظر في الكتاب والسنة حتى كأنه مقصد " .

وبناء على ذلك يؤكد السنوسي - رحمه الله - أن التقليد لا يكفي في العقائد ، ويدعم هذا الرأي بقوله : " كل آية في القرآن دالة للتقليد ، وأمرة بالنظر والاعتبار ، دليل على ذلك كقوله تعالى : ﴿ قُلْ انظُرُوا ﴾ ، وقوله جل وعلا : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ وقوله سبحانه ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

والسنوسي - رحمه الله - يريد بآيات ثم التقليد أمثال قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنفَيْنَا عَلَيْهِ آيَاتُنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة : ١٧٠) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِذَا قَالَ مَرْفُوعاً إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جُنْتُكُمْ بِآفَاقٍ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ﴾ (سورة الزخرف : ٢٣ - ٢٤) .

ثم يحذر المسموس الإنسان من تأنيه في عدم مجادته بالنظر حتى لا يفاجئه القدر ولا يتحقق له الإيمان . يقول * حذر - سبحانه - المتأني بالنظر بخوف قرب موته فيفوته النظر بتأنيه ، فيموت غير مؤمن عند بعضهم . فقال بعد قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم] [الأعراف : ١٨٥] وإجماع الصحابة دليل على وجوب النظر ، فإنها لم تزل تدم التقليد ، وتحذر منه ، وهو قول شائع بينهم من غير أساسية ، وعناصر ذاتية في طبيعة الإنسان ، حيث إن هذه الطبيعة في أصل تكوينها وخلقها ترجع إلى قبضة من شراب الأرض ونفخة من روح الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَلَبَّأَ سَوِيئُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (سورة ص : ٧١ - ٧٢)

هناك - إذن - جانبان أساسيان في طبيعة الإنسان : أحدهما مادي والآخر روحي ، متجان من ألف بينهما في وحدة متكاملة متناسقة مؤتلفة

وقد خلق الله الإنسان لرسالة كبرى ، ومهمة عظمى في الحياة تتحقق منها غايات ثلاث :

الأولى : العبادة المطلقة والخالصة لله تعالى وحده لا شريك له .

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُنَاجُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨ ، مكية) .

الثانية : الخلاقة عن الله في الأرض لينشر فيها العدل والأمن والطمأنينة والسلام .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٣٠ ، مدنية) .

الثالثة : عمارة الأرض ، واستغلال ما فيها من خيرات لصالح الإنسان والحياة .

﴿ وَإِلَىٰ تَعْوِدِ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْفَرُكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيمٌ مُّجِيبٌ ﴾ (سورة هود : ٦١ ، مكية) .

من هنا اقتضت حكمة الله تعالى أن يزود الإنسان بوسائل طلع العلم والمعرفة التي تمكنه من أداء رسالته في الحياة .

ومن قبل هذه الأدوات والوسائل تكمن الدوافع الذاتية ، ثم تحيط به الدوافع الخارجية من كل مكان .

ولهذا تنوعت تلك الوسائل حسب طبيعة الإنسان فكان منها :

١ - الحواس : تلك المدافذ التي من خلالها يفتح الإنسان على العالم الخارجي من حوله .

٢ - العقل : تلك الهبة الربانية التي بها يتمكن الإنسان من القدرة على الإدراك والتأمل والتفكير ، وغير ذلك من العمليات العقلية .

٣ - البصيرة : ذلك المنفذ الروحي الذي يفتح من خلاله على الملأ الأعلى ، فيكشف له ما يشاء الله حسب تفضله ورضاه .

تأمل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة النحل : ٧٨ ، مكية) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون : ٧٨ ، مكية) .

﴿سورة الحديد﴾ أسرار الحبر والعصاة بالمنفعة ﴿٦٩﴾

تلك هي الوسائل والأدوات التي مكن الله الإنسان بها من الوصول إلى المعرفة . ونحن مكلفون باستخدامها والمسئولية عنها ، بل هي مسئولة كذلك :

﴿ إِنِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مُسَوِّدِهَا ﴾ (سورة الإسراء : ٣٦ ، مكية) .

ولكن الناس إزاء هذه الوسائل مختلفون و " كل حزب بما لديهم فرحون " .

فمن الناس من يقنع بالحواس وحدها ، ويثق كل الثقة بها ، ولا يلتفت إلى ما سواها . فلا يرى في الوجود سوى هذا العالم المحسوس ، فكل موجود محسوس ، وغير المحسوس غير موجود ، وما لا يدركه الحس بذاته ففرض وجوده محال ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْتَكُنُ إِلَّا الدُّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (سورة الجاثية : ٢١ ، مكية) .

ومن الناس من يقنع بالعقل وحده ، ولا يرى فيما سواه بديلاً أو نصيراً ، فلا يلتفت إلى الحواس ، ولا بهتز لصوت الفطرة ، ولا يرضى بجانب الروح والبصيرة في نفسه .

ومن الناس من لا يثق في غلبه ، ولا يروي ظمأه سوى الإدراك البصري وحده بالمجاهدة النفسية ، والرياضة الروحية ، أملاً في المعرفة الدنيوية الربانية .

تلك صنوف البشر إزاء وسائل المعرفة وهي صفوف دائمة الوجود في كل لرض ، وكل عصر ، ولدي العامة والخاصة على السواء ... فلين منها التصور الإسلامي ؟ ... وبأي منها يمكن للوصول إلى المعرفة العليا التي نريدها ؟

أولاً : الإدراك الحسي

وظيفة الحواس :

إن الإدراك الحسي يعتمد على الحواس فهي المنافذ التي ينفذ من خلالها الإنسان على العالم الخارجي من حوله .

إنه يري الأشياء في صورها وألوانها وأحجامها .

وكذلك يلمسها في حرارتها وبرودتها وطراوتها وصلابتها . وكذلك يشم رائحتها اللزكية والخبیثة ويتوقها حلوة ومرّة ، ومالحة ومرة ، ويسمع الأصوات من قريب أو بعيد ، قوية أو ضعيفة ، حسنة أو قبيحة .. وهكذا .

هذه كلها معارف يستقيها المرء من خلال الحواس ، ولهذا فإن انعدام حاسة منها يؤدي بالضرورة إلى انعدام معرفة موضوعها .

غير أن الإنسان في تعامله مع الأشياء لا يقف عند حد المدركات الحسية فحسب بل يفرع بالضرورة إلى ما وراءها سمع صوتاً ، فإن يدرك هذا الصوت ويتفحصه فيعرف أنه صوت إنسان أو حيوان ، فإذا كان لإنسان ... أدرك أنه صوت رجل أو امرأة أو طفل ، وإن كان صوت حيوان أدرك أنه زئير أسد ، أو سهيل حصان ، أو نهيق حمار ، أو صياح ديك .

هناك - إذن - علاقة مباشرة بين الإدراك والإحساس ... إذ الإدراك في جوهره استجابة لمؤثرات حسية بحسب طبيعتها وأشكالها . ولذلك " يطلق اصطلاح " الإدراك " أو الإدراك الحسي " على علم النفس على العملية العقلية التي تعرف بواسطتها للعالم الخارجي . وذلك عن طريق المثبرات الحسية المختلفة التي تسقط على حواسنا المختلفة من العالم يحيط بنا " (١) .

٧١ مقدمة في علم النفس التجريبي و منهجيات البحث في علم النفس

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يُقَالُ إِنَّهُ لَا يَوْجِدُ إِنْشَاءً بِغَيْرِ مُجَسِّدٍ ، وَلَكِنْ يَوْجِدُ حَسْرَةً بِغَيْرِ إِدْرَاكِ ، وَلَيْسَتْ تَحْتَلِفُ عَمَلِيَّةُ الْإِنْشَاءِ بِتَحَلُّلَاتِ الْإِنْشَاءِ ، فَاتَّبَعْنَا لَا يَرَى فِي الْعَمَلِ إِذْ يَرَاهُ الْفَلَسُفِيُّ ، وَلَا تَرَى فِي سَبَبِ الْمَجْهُولِ بِرَأْيِهِ عَالَمُ الْأَحْيَاءِ . ()

مراحل الإحساس

يُنْشَأُ بِحَسَبِهَا بِالْأَشْيَاءِ لَا يَتِمُّ هَكَذَا دَفْعُهُ بِزَمَرٍ بِمَرَحَلَةٍ فِي

١ - مرحلة فزيولوجية كيميائية وهي التأثير الخارجي ، وتغيير النتائج منه في المصنوع

٢ - مرحلة فسيولوجية هي معالجة المصنوع ، وتأثير الجهاز العصبي

٣ - مرحلة وجدانية وهي الإحساس بمعنى المعرفة أو الإدراك ، وبين للمعرفة أو الإدراك .

والتأثير أو الانفعال بمعنى عكسية فإنه كمن لا انفعال قوياً أصراً بالإدراك ، فلن يكون الإدراك تاماً ينبغي أن يكون التأثير الواقع على الحاسة مناسباً ، وأن يكون الانفعال معتدلاً () .

هذه هي الحواس ، وتلك صيغتها ، وهذه هي الإدراك الحسي ، فماذا هي قيمة المعرفة المعتمدة على الحواس ؟

قيمة المعرفة الحسية

على صعيد علم النفس يمكن تقسيم هذه المعرفة إلى نوعين

١ - الحسية من حيث مصدرها ، ومن حيث مادة موضوعها

١ - علم النفس الفسيولوجي من (١٥٩) .

٢ - الطبيعة وما بعد الطبيعة من (٧٦) يوسيف جرم ط ٣ ، دور المعرفة بمصر

٢ - التجريدية من حيث أنها متعنه بالمادة في بعض أشكالها وصورها

٣ - التغيير . وبذلك يسبب ما يطرأ على من المادة من تغيرات ، وكذلك لحوس من أوضاع متغيرة

٤ - النسبية . ينسب إلى الحواس ، وهي تختلف باختلاف الأفراد ، بل تختلف باختلاف أحوال الفرد نفسه ، صغراً وكبراً ، قوة وضعفاً ، صحة ومرصاً ،

٥ - أنها عرضة للخدع والوهم . مثلاً يحدث في حال المرايا ، واكسار الضوء ، ورؤية الأجرام البعيدة صغيرة كرويت الشمس مثلاً قرصاً دائرياً صغيراً مع أنها في حقيقتها أكبر من الأرض

٦ - أنها معرفة فنية : وليست بقبيلة ومن هنا فإنها تحتاج إلى الإدراك العظمي بالصبرورة لكي تكون بقبيلة . وكذلك لكي يرقى إلى مستوى القاعدة الكلية هذه قبضة المعرفة الحسية فيما نرى ، فماداً يرى العاديين فيها بصفة خاصة *

العاديين والمعرفة الحسية

والعاديين لا يعترفون بغير ذلك المدع من المعرفة ، فلا يروون هي الوجود سوى للمحسوس ، وما لا يدركه الحس بداته ففهم وجوده محال . ومن هنا فإنهم ينكرون هي إصرار ما وراء المادة من شيبات وروحانيات ، ومفاهيم كلية ، وقيم إنسانية مطلقة ، وحقائق ثابتة .

إن ذلك يرجع إلى اعتماد العاديين المطلق " المذهب التجريبي " طريقاً إلى العلم والمعرفة ، وبما يروونه من القول محو من المادة للادبيه بحيث تفعل ومؤثر بدائيه من احتكاك إلى قوة حازجه بحكمه . وقد تبنوا هذا الموقف في جوانب كثيرة أهمها فيما نرى

١ - حتمية العلاقة السببية

٢ - بعينية النتيجة في المذهب التجريبي

٣ - مادية السبب الأول الذي يحكم الوجود كله

وبين ذلك فهم يبي -١-

أولاً حتمية العلاقة السببية

يعتقد الماديون أن الأسباب تعمل بدسها ، بما تتمتع به من خواص دائية ،
فقد وجدت للدار والمادة القابلية للاستعمال ، فإنه - قطعاً وبالضرورة - يتحقق
لاحترق وهكذا وإن هذا أمر واضح للبطلان - فقد يختلف السبب ويوجد
المسبب كما في خلق آدم - عليه السلام - وكف في حال سجنهم إبراهيم ،
ومحاولة المشركين بحرقه بالدار وإن كان الماديون ينكرون ذلك فإنكارهم من
يعبر من الأمر شيء ، لأنه حقيقة واقعة ، ومعجزة حسية مناسبة للمعاهيم للمادية
يعني هذا أن ثمة فترة خارجية تحكم لأسباب المادية ، فإن لأدب هي
أن تعمل فعلت وإلا فلا ،

وبذلك ينهض القول بحتمية للعلاقة السببية

ثانياً يقينية النتيجة

وقد راعوا أن النتيجة في المذهب التجريبي وبعبارة لأنه يعتمد على
الملاحظة الحسية والعبرة العملية ، فإن المادة سمع بخواص دائية التأثير

ولكن دعوى هذا وهم من توهم الماديين اللهم لا إذ كانت تلك النتيجة
تؤكد حقيقة كونية وألمة ، فهي هيئت حقيقة علمية .

أم في مجال النظريات العلمية فليس - في كثير من الأحيان - عرصه
لأن سهر ونقوم على انقاصها معضلة أحرى جسيمة

إن هذا الذي نراه يتأكد من بحوث المناديين فتصهم في مجال للعاده -
ومعنى بذلك نظرية القدرة لتقديمه -

فقد ن قال ديميربطس ٤٢٠ ق.م ، والمناديون يعتمدونها فيعتقدون من
البره هي تلك الجزي الذي يشكل الوحدة الأساسية في بناء الكون ، لا تتجرا ،
ولا تتشظ ولا تنقسم .. الخ

واستمر الحال هكذا حتى جاء ليثيني ، بأبحاثه في " المنهجية العامة
والخاصة " والتي كانت الشرارة التي انطلق منها العلماء لاقحام البره وكانت
النتيجة انشطارها وتفجرها فتكشف للعالم أن البره عالم رهيب يحتوي على
بروتونات وإلكترونات ومادة ، وفيها محطز مباح عرفته البشرية ، من الممكن
أن يحقق للدمار الشمس ليس في الحاضر فقط بل في المستقبل أيضا ، كما أنه
من الممكن استعماله في رفاهية الإنسانية والحفاظ عليها في مجالات الطب
والزراعة والصناعة وغيرها.

بهذا كله سهرت النظرية الحرة لتقديمه وقامت على انقاضها تلك
النظرية الجديدة ، يقول البروفيسور موندس بعد نقده وجهه إلى النظريات
العلمية

" هذا الامر من للنظريات العلمية يثبت أن معنى " نظرية علمية صحيحة "
هي " فروص علمية ناجحة ومن الممكن تماما أن يكون سائر النظريات العلمية
باطلا ذلك في النظريات التي تعتبر اليوم (حقيقة) ليس ، لا فريد " حتى
وسائد المحدودة لتتلاحظه ، ولا تزال قيمة الحقيقة في عالم العلم ، قضية علمية
فعية " (١) .

نحصر من تلك إلى ما قلناه أولاً من أن النتيجة في المنهج التجريبي
تيسر معينة كما ير عم المناديون وإنما هي احتمالية تحتمل الخطأ ومن قبلت
الصواب ،

ثالثاً نوعية السبب الأول .

يعتقد الماديون أن كل شيء في الوجود سببه المادة ، أو الطبيعة منه كل شيء ، وإليه يرجع كل شيء حتى الإنسان بما فيه من روح وعقل وجدان كل ذلك ليس سوى نتائج تلك العلاك الكيميائية في جسم الإنسان

أما كيف نشأ الحياه من تلك المادة من وجهة النظر المادية ؟ وإبهم يريدونها بلبي : الصدفة أو الطبيعة

ومن الذي أودع فيها خواصها ؟

ومن الذي حدد لها نسب تكوينها وتلاحمها ؟ وهكذا

الجواب أن كل ذلك يتم بالصدفة أو الطبيعة

والرأي - عيب أن هذه حرافة يرفضها العقل للسليم بمقتضى "قانون السببية" الذي يعرفه الماديون أيضاً .

أما في جانب الصدفة ، فإنه من المحال عملاً بمقتضى هذا القانون أن يوجد شيء ما بعير سبب فاعل في وجوده . وليس من المقبول أن يكون هذا العالم - بما فيه من بدء ووسط ونهاية ، وانسجام ونفاسك - وبند الصدفة

وأما في جانب الطبيعة فإنه يتركب عليه بمقتضى قانون السببية كذلك أن تكون الطبيعة فاعله ومنفعته في وقت واحد . وبذلك لأنها من حيث إنها سبب تصبح منقذته في الوجود على نفسها ، ضرورة نفهم السبب على السبب في الوجود .

وكذلك من حيث إنها مسبب تصبح متأخرة في الوجود على نفسها ضرورة . تأخر المسبب عن السبب في الوجود .

وهكذا تصبح الطبيعة متقدمة على نفسها ومتأخرة - كذلك على نفسها في وقت واحد وهذا محال

تأمل قوله تعالى هي سورة الطور - ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (سورة الطور الآية ٣٥ ، مكية)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - " إن المعبره المتكبره في كل برهان ، وتلازم في العلم هو اللزوم ، فمن عرف أن هذه لازم لهد ، استدل بالملزوم على اللازم ، وإن لم يذكر لفظ اللزوم ، ولا تصور معنى هذا اللفظ بل من عرف أن كذا لابد له من كذا ، لو أنه كان كذا كان كذا ، ومثال هذا ، فقد علم اللزوم ، كما يعرف أن كل ما في الوجود آبه لله ، فإنه مفترق إليه ، محتاج إليه لابد له من محدث ، كما قال تعالى ﴿ لَمْ يَخْلُقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (سورة الطور الآية ٣٥ ، مكية) قال جبير بن مطعم لما سمعت هذه الآية أحسست بعزائي قد انصدع ، حين هذا تقسيم جاحضه ، يقول أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ هذا ممثبع في بداية العقول ، أم خلقوا أنفسهم ؟ فهذا أشد امتنع ، فعلم أن لهم خالقاً خلقهم

" وهو سبحانه ذكر السير بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في الفهم ، لا يمكن لأحد إنكارها ، ولا يمكنه أن يقول : هذا أحبث نفسه " (١) .

هل صحيح أن المادة تتسع بخواص ذاتية ؟

إن مشكلة الماديين - هي كل ما قالوه ويقولونه عن المادة والكون والحياة ترجع بصفة أساسية التي ما يزعونه من الفهم بالخواص الذاتية للمادة أي أن هذه الخواص من ذات المادة وبدايتها وتيسب بحاجة إلى قدره فاعنه فيها

هذا تحرير محض التراجع أو مريبط الفهم كما يقال فهل هذا صحيح ؟

في الأمر جدير بالاعتبار ولا نهمهم ، فعالم من هؤلاء ينكمشون باسم العلم الحديث في الذي يعتمد على المذهب التجريبي فهل يوافق العلم الحديث على ذلك ؟

ابداً يعني هذا " الفيزياء الحديثة على وجه الخصوص ما بين منها ذلك الرعم المعادي ؟

حسب في هذه المجال لن نقف على آخر ما توصلت إليه الفيزياء الحديثة ، من نتائج :

لقد بحث هذا الموضوع الأستاذ محمد باقر الصدر* بدقة دقيقة ، في كتابه " فلسفة تحت عنوان المادة في ضوء الفيزياء () نستطع منه ما يلي - إنه يقول " من الحقائق التي تتيح للعلم إثباتها هو إمكانية تبيين العناصر بعضها ببعض وعملياً التبين هذه بعضها يتم بصورة طبيعية ، وبعضها يحصل بالوسائل العلمية .

وقام (درفورد) باب محاولة لتحويل عنصر إلى عنصر آخر وذلك أنه جعل قوتي تفاعل الهيدروجين (دقائق لافيا) تصطدم بدوي درجت لأزوت فتولدت البروبان أي تحت درجة هيدروجين من درجة لأزوت وبحولت درجة لأزوت إلى أولكسين وأكثر من هذا فقد ثبت أن من الممكن أن تتحول بعض أجزاء المادة إلى جزء آخر ، ويمكن للهيدروجين - أثناء عملية انقسام النواة - أن يتحول إلى نيوترون وكذلك العكس

* وهكذا تصبح تبيين العناصر من العمليات الأساسية في العلم ، ولم يعد العلم عند هذا الحد بين بدأ بمحاولة تبديل المادة إلى طاقة خالصة أي نوع البصمة المادية للعنصر بصورة نهائية وذلك على ضوء جانب من النظرية النسبية بـ (المتغير) إذ قرر أن كتلة الجسم متغيرة ، وليست ثابتة فهي تزيد بزيادة السرعة كما تؤكد التجارب التي أجراها علماء الفيزياء الحديثة على

«الالكترونات التي تتحرك في مجال كهربائي قوي»^٢ ، يعرف «أينشتاين» في معادلته إلى للطاقة = كتلة المادة \times مربع سرعة الضوء = مربع سرعة الضوء = ٨١٦.٠٠٠ ميلاً في الثانية) كما أن الكتلة = الطاقة = مربع سرعة الضوء ، بذلك ثبت أن الذرة بما فيها من بروتونات والكروونات يمس في الحقيقة لا طاقة متكافئة يمكن تحويلها وإرجاعها إلى حالتها الأولى ، وهذه الطاقة هي الأصل العلمي للعالم في التحول الحديث وهي التي تظهر في أشكال محتله وصور متعددة صوتية ، ومغناطيسية ، وكهربائية ، وكيميائية ، وميكانيكية^٣

وبعد بحث معتقدهم يقول :

« ونستخرج من الحقائق العلمية التي عرضنا عدة أمور^٤

١ - أن المادة لأصنعه للعالم حقيقة ونقطة مشتركة بين جميع كائناته ، وظواهره ، وهذه الحقيقة المشتركة هي التي تظهر بمصنف «الأشكال» ، وتنوع بشقي التفرعات .

ب - أن خواص المركبات المادية كلها عرصية بالإضافة إلى المادة الإصطناعية ، فالعالم بما يمتلك من خاصية للسير ليس شيئاً مطلقاً للمادة التي يتكون منها ، وإنما هو صفة عرصية ، بلبل أنه مركب من عنصرين بسيطين ، وفي الإمكان إقرار هذين العنصرين عن الآخر فيرجعن إلى حالتهم العارية ، ونزول صفة الماء تماماً ومن الواضح أن للصفات التي يمكن أن يروب عن الشيء لا يمكن أن تكون دائمة به .

ج - أن خواص العناصر البسيطة نفسها ليست دمية أيضاً - فصلاً عن خصائص المركبات والبرهان العلمي على ذلك ما مر بنا من إمكان تحرك بعض العناصر إلى بعض ، وبعض نرائها إلى طرف آخر ، طبيعياً أو صناعياً ، فإن هذا أمر ليس على أن خصائص العناصر إنما هي صفات عرصية للمادة المشتركة بين جميع العناصر البسيطة ، فليس صفات الراديوم والزرنيخ

٧٩ فصل في كيفية أطوار الصريح والضمنية بالعمومية

والأول: وبالإضافة من حيث يتلوه في تلك العناصر - ما دام في
الإمكان قبوله - البعض باليعصر .

د - و خير ، فمن صفة للمادة يصح على ضوء الحقائق السابقة -
صفة عرضية أيضاً ، فهي لا تعدو أن تكون ثوب من ألوان الصفة ، وسكلاً من
مشاكله ، وبمن هذه الشكل ذاتها ، بما سبق بين أنها قد تستبدل هذا الشكل
بشكل آخر ، فتتحول للمادة إلى طاقة ويتحول للكهرب إلى كهرباء .

ثم ينتهي المؤلف - بعد ذلك في النتيجة العلمية فيقول - " وإدراك ذلك
الناسخ العلمية بعين لا عذر ، وحب أن ندرسها درساً فلسفياً لعرف ما إذا كان
في إمكان أن نفرص للمادة هي السبب (الغنة الفاعلة) لتعاليم أم لا ؟ ولا
نريد في أن الجواب الفلسفي على ٤ - السؤال هو الذي يصوره فاطمة ، وذلك
لأن المادة لأصلها بعالم حقيقة وحده عامة في جميع مظاهره وكنائسه ، ولا
يمكن بحقيقة لتوحيده أن تختلف أثره ، وتنبأ أفعالها " .

لقد أثرت هذه الفعول - على كثرتها - لأنها تدمج رعم الماديين بالحقائق
العلمية التي انتهت إليها الفيزياء الحديثة بالإصافة إلى أنها تغيب عن كثير غير هـ
من المصادر العلمية وهي متوفرة لمن أراد الرجوع إليها

وهذه النتائج بلا شك تنتهي إلى ما انتهى إليه فلاسفة لإملاهم ومفكره
بالعقرو الفلسفية غير أنها هي لأتسب في هذا المقام ، مقام البحث العلمي
التجريبي .

ونخيرا يبقى السؤال :

هل يستطيع الحواس أو المبهج التجريبي أن يصل إلى الحقيقة ؟

لقد عمد الماديون - هذا المبهج فرقصو به الوجود لإلهي وكل ما وراء
المادة من غيبات وروحانيات ومعهم كلفة وجعاق تأليه ، وقيم إنسانيه

مختلفة . وقد اكتشف لنا في م رعموه يصطلم بالحدائق والعلمية ومن ثم
مستطيع القول :

ين للمهوج التجريبي يستطيع يميز - أن يصل من خلاله لإنسان إلى
الحقيقة الأزلية والمعرفة العليا ، لا عن طريق دانتها مباشرة بل عن طريق
أثارها المبرمية الأطراف في رحاب الكون ، وهذا ما قررته آيات الكونية على
القرآن الكريم وجاء به العلم الحديث .

في كثير من الأحيان لا نترك بدانتها مباشرة ولكن نترك آثارها ومن هذه
الأشياء ما اكتشفه الماديون أنفسهم مثل الطاقة والجذبية ، والكهرباء ، وكذلك
تلك الحقائق الواقعة كالروح والطبيعة وغيره من صمم الله الذي أنفق كل شيء
إنه على كل شيء قدير .

ورغم أن النتيجة في المذهب التجريبي ضئيلة واحتمالية أي عريضة للمصوب
والحصا فإنها طالما تتفق مع الحقائق الواقعة في الوجود فإنها تصبح يقينية تؤدي
إلى اليقين .

ومن جانب آخر لا يمكن لإنسان أن يتجه بالبحث نحو حقيقة لأزلية
ويستك طريق الحس أو المذهب التجريبي ويقف عند حد الحس وحده بل إنه في
هذه الحال لا ينقص عن الإثبات في شيء ومن ثم يكون هذا هو " الإثبات
الحسي " الذي يعنيه علم النفس الفسيولوجي ، وتلك حقيقة واقعة لا أساس لها

وفي نهاية هذا الموضوع نذكر بالآيات الكونية في القرآن الكريم ، وكيف
أن الله تعالى قد عني بتوجيه الإنسان نحو الكون بهذا الكم الهائل من تلك الآيات
البرمجة وما تلك إلا أنها مؤني ثمرها بحق في الوصول إلى المعرفة العليا عن
طريق الإثبات الحسي في الاعتبار لأول

لأنه هو الذي يعم جميع الناس بأهل فوه تعالى من سورة النحل

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْءٍ فَإِنَّهُ هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٢)

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَكْتُمُونَ • وَتَكُونُ فِيهَا حِمَى لِلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ • وَالْأَنْفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣)

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَحْسِبُونَ • وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَانِبٌ لِّمَا تَدْرِكُونَ • لَهَا كَمِثْلٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ • يُبْقِي لَكُمْ بِهِ الظَّيْفَ وَالزَّيْتُونَ وَالسَّيِّدِينَ وَالْحَمِيرَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي بَلَدٍ لَّآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ فِي السَّمَاءِ السَّحَابَ مُمْسِكَ الْقُرْآنَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمَ مُنْجِرَاتٍ بِمَرَّةٍ إِنَّ فِي دَلِيلٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٦)

﴿ وَمَا تَرَى فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي بَلَدٍ لَّآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴾ (٧) ... وهكذا إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَطَاوَعْتُمْ فِي اللَّهِ لَاحْتِصُونَهَا إِنَّ اللَّهَ لَطُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨).

١ - سورة النحل الآية رقم : (٣)

٢ - سورة النحل من الآية رقم (٤) .

٣ - سورة النحل الآية رقم (٥ - ٧) .

٤ - سورة النحل الآية رقم : (٨ - ٩)

٥ - سورة النحل الآية رقم (١٠ - ١١)

٦ - سورة النحل الآية رقم (١٢)

٧ - سورة النحل الآية رقم (١٣)

٨ - سورة النحل الآية رقم (١٨)

﴿ وَاللَّهُ تَرَكُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَجَاحِبٌ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (١) .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبٍ حَالِصَةٍ سَائِغٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ (٢) .

﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالتَّابَعِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) .

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ (٤) .

﴿ ثُمَّ خَلَى مِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْتَخِجْ مِنْ رَبِّكَ ذُلَّلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥) .

بل في مجرد استقراء أسماء السورة في القرآن الكريم بلغت نظر الإنسان المحنص - الذي يستند الحقيقه - إلى ما في القرآن من دلائل القدرة الإلهية وشواهد العظمة الربانية

إن منها ما هو بسماء الإنسان النساء لإنسان الناس . عدا أسماء بعض الأنبياء حيث يفص عن سيرتهم مع الملائكة المشتركين من لقوالهم مثل يوسف ويوسف وإبراهيم ومحمد "صلى الله عليهم أجمعين" .

وإن منها ما هو بسماء الحيوان البقرة لأنعام الحاديات والعجل

١ - سورة النحل الآية رقم (٦٥)

٢ - سورة النحل الآية رقم : (٦٦) .

٣ - سورة النحل الآية رقم (٦٧)

٤ - سورة النحل الآية رقم (٦٨)

٥ - سورة النحل الآية رقم (٦٩)

وأي منها ما هو بأسماء الحشرات لتحل لنمل العنكبوت

وأي منها ما هو بأسماء بعض الظواهر الطبيعية الزعد الداربات
السحاب ، المربلات

وأي منها ما هو بأسماء المعادن الحديد .

وأي منها ما هو بأسماء النباتات : القثي .

وأي منها ما هو بعض مراحل الجنين : العنق .

وأي منها ما هو بأسماء بعض الأماكن الكهف سياً لأحقاف الطور
الحجرات ، البلد .

وأي منها ما هو بأسماء الزمن الجمعة النبي الصبحي العصر

وأي منها ما هو أدوات القلم والكتابة : القلم

وأي منها ما هو اليوم لأحر لواقعته للحياه ، للهياة العاشية
القارعة الزلزلة .

وأي منها ما هو أسماء الله وصفاته : فاطر ، الرحمن .

هذه بالإضافة إلى جميع القسم المختلفة بكثير من آيات الله ومطوقاته
للدلالة على ما فيها من مظهر القدرة الإلهية والمنافع الربانية للإنسان والحياه

لدلالات المستفادة من الآيات الكونية .

إن الآيات الكونية في القرآن الكريم تؤكد لنا الكثير من الدلالات التي تدعم
إيمان المؤمن كما تدفع غير المؤمن إلى إيمان . ومن هذه الدلالات : أهمها

١ - دلالة الحق وإنسان وإبداع

٢ - دلالة العناية والرعاية

٣ - دلالة الهيمنة والتدبير .

١ - في دلالة الحلق في هذا الكون البديع المصنع تؤكد - بما لا يعجز الشك إلا من معاند مكابر - أنه من صنع الله تعالى وحده - إنه على كل شيء قدير

ومن هنا كان التحدي المطلق بهذا الحلق الإلهي في جبهات الكون . ومن هنا كن قوله ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ (سورة الحج ١٧ ، مكية) .

﴿ والذين يذعون من دُون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ (سورة البقر : ٢٠ ، مكية)

وهذان الأيتان جاء موقعهما بعد ذكر الكثير من الآيات للكوبيته والتي كان حاسمها ﴿ وإن تدعونا نعبد الله لا تحصوها ﴾

وفي التحدي أبصراً ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ (سورة البقر ١١ ، مكية)

ومن تلك أبصراً : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دُون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه صغف الطالب والمطوب ﴾ (سورة الحج ٧٣ ، مكية)

وكان للحلق دليل التحدي لأنه يعني إيجاد الأشياء من العدم فمحصر على غير مثال سابق وهذه لا يعبر عليه إلا الله ببارك وتعالى

في هذا الحلق الإلهي يتم وفق القدره الربانية الخلاقة ﴿ إنما كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وما أمراً لنا واحده كلمج بالبصر ﴿ (سورة القمر ٤٩ ، مكية)

ومن آيات الخلق الكثيرة في القرآن ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (سورة البقر ٢١ ، مكية)

٢ - وما العبرة الإلهية بهذا الكون خاصة وبالناس عامة فمضاه في القرآن كثيرة أبصراً ﴿ الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وفعل من

٨٥ مقالة كلية أصول الدين والجمعة بالمسوفة

السماء ماء فأخرج به من السموات رزقاً لكم فلا تجعلوا منه انداداً ولستم تعلمون
(سورة البقرة : ٢٢ ، محبة)

٣ - وأما الهيمنة الإلهية والتدبير الرباني لهذا العالم ، فإنه لا يقع في
ملك الله إلا ما يريد الله .

(أَلَا تَأْتِي الْخَلْقُ وَالْأَفْرُ تَبْرَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (سورة الأعراف : ٥٤ ، محبة)

(إِنَّ اللَّهَ بَيْنَ يَدَيْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَ وَلَكِنْ رَأَيْنَا أَنْ أَمْسِكُهُمْ مِنْ
أَحَدٍ مَنْ بِيَدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَكِيمٌ غَفُوراً) (سورة فاطر : ٤١ ، محبة)

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فسيحان الذي بيده
ملكوب كل شيء وإليه ترجعون)

ثانياً : الإدراك العقلي

لقد سبق لنا الحديث عن العقل باعتباره من أهم الدواعي الدسية إلى المعرفة ،
وكانت هاتين هاتين باعتباره وسيلة من وسائل المعرفة التي منحها الله لها

ذلك أن الإدراك العقلي هو الطريق الثاني من طرق المعرفة التي رزق الله
به الإنسان وقد اكتشف لنا دور الحواس ، وقيمة المعرفة المستفادة منها
الخ

وقبل أن نتكلم هاتين عن دور العقل ينبغي أن نعرف أولاً على طبيعته
ومهامه ووظائفه التي يقوم بها فهو وبالله العايق

طبيعة العقل :

إن طبيعة العقل ومهامه ومكانه أمور استأثر الله بحالها ومهامها
منها : ١ - أن يرد فيه شئ من إدراك مهيته ، ٢ - أن يمكن
معرفة عن نفسه يقع في مجال وظائفه وبما يتفق على يقوم بها ، وهذا هو النظر
الصواب منه فهو كائن معرفة مهيته وطبيعته بنفسه كالمعرفة بغيره فهو كائن

بها وكشف لنا عنها ، بالإضافة إلي أن حجب هذه المعرفة عن الإنسان يحد من شروء العقل ، ويؤكد محسوبيته معها كأي الأمر .

في القرآن الكريم يعبر عن العقل تارة بالعقل والقلوب ، وتارة أخرى بالفؤاد ، ولأفندة عما كلمة " للعقل " بدلتها " علم مرء في استعمالات القرآن الكريم مما يؤكد أن معرفة حقيقة العقل لا تعني الإنسان في شيء وإنما الذي يعنيه ويحرص عليه هو معرفة وطنه ، ولتقدم بها على الوجه الأكمل ما أمكن

في استعمالات القرآن الكريم تدور حول العطين الماصي والمصارع فقط () . وهكذا .

عقله ١

عقل ١

بعقله ١

تعقلون ٢٤

يعقلون ٢٢

في هذه المصروفات يستند القرآن إلي " القلب " وقد يعبر عنه بالفؤاد أو لأفندة . لأن الفؤاد هو القلب وقد جاء في المعجم الوسيط قوله " الفؤاد ، القلب وفي التبريد للبريد (ما كتب الفؤاد ما رأى) (سورة النجم الآية ١١) " يقال هو فارغ للفؤاد لا هم عنده ولا حزن أو شيء الحال وبه قال بعض المفسرين في قوله تعالى (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) (١)

ومن استعمال القرآن للقلب بمعنى العقل قوله تعالى (أفلم يستبرؤوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (سورة الحج ٤٦ ، مدنية .

١ - المعجم للمفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة " عقل " محمد فؤاد عبد الباقي

٢ - المعجم الوسيط مادة " فؤاد "

وفي سورة الاعراف ، قوله تعالى ﴿ وَفَدَّ ذَرْأَهُمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ مِنْهُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٧٩ ، مكية) ، وللفقه على مر جلف الفهم

في تفسير " خرائب الزر آر " عند قوله تعالى ﴿ يَخْتَمُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ يقول النجاشوري * القلب يركب به ناره فالحكم الصوري المودع في التجويف الأيسر من الصدر ، هو محض الروح الحيواني الذي هو منشأ للحس والحركة ، وببعض منه إلى سائر الأعضاء بتوسط الأوردة والشرايين ويراد به ناره للطبيعة الربانية التي بها يكون الإنسان إنسان ، وبها يستمد لامثال الأوامر والنهي ، والقيام بواجب التكليف ﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (١)

أما الإمام الغزالي فإنه يقول

القلب يطلق على معنيين

المعنى الأول هو المحم للصوري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر والقلب بهذا المعنى لا يتعلق به غرض وإنما يتعلق بمرص الأقطاب

المعنى الثاني ، هو الطبيعة الربانية الروحانية ، وبها بهذا القلب الجسماني يتعلق وهي حقيقة الإنسان والمدر كالعالم للعارف المقطوب والمخاطب والمضارب

ويقول عن العقل وهو أيضاً يتعلق على معنيين

المعنى الأول وهو العلم بحقائق الأمور ، فيكون عبارة عن صفه العلم الذي محله القلب .

المعنى الثاني هو المدرك للمنطوق فيكون هو القلب ، في تلك الطبيعة الربانية * (٢)

١ تفسير خرائب ظفرآن على هامش للطبري ج ١ ، بيروت ١٩٨٦

٢ جلد علوم الدين ج ٢ ص ٣ وقد عدها كتاب شرح عجائب القلب

ولياً ما كان الأمر من خلافه في هذا الشأن بين علماء الدين وعلماء التشريح والأطباء من الذي يعترف هنا أن حقيقة العقل وكنهه أمر لا يعلمه إلا الله تعالى ولكن في مقدورنا أن نعلم وظائفه التي يقوم بها وما من شك في أن العمديت العقلية ينحصر أثرها على القلب ، حيز وشر ، وقبضاً وبسطاً ، فذلك العقل من تحقق بالقلب .

وكذلك يظهر أثرها على المخ وخلاياه ، مما يعني أن ثمة تعكف لهذه العمديت العقلية بالمخ والنمخ ، ويظهر هناك وتصمد في صحنه فلم يرتفع والحفاص ، وغير ذلك من الأمور التي يعرفها الأطباء ، خاصة بترك المختصون بالمخ والأعضاء ،

ويمكن القول بأن القلب يعني الجاهل لأن قلب كل شيء بطنه ، والقلب والمخ في باطن الإنسان وجواريه ، والله علم بالمراد على التحقيق

وظائف العقل :

نقد نكلم عن العقل - فهم سبق - باعتبار من أهم الدواعي الدائيه التي تكفح الإنسان نفعاً نحو العلم والمعرفة ، بصحة عامه والحقيقة الأزلية العالمة بصحة خاصة .

ولكننا هه - نكلم عن العقل باعتبار وسوية من أهم الوسائل التي يمس من حالته الإنسان - بحق - إلى معرفة الحق تبارك وتعالى

ذلك أنه من وظائف العقل : الإدراك والتأمل ، والتفكير والتدبر ، والتفكير والتعظيم والحكم على الأشياء ، والأفعال والأقوال والاعتقادات ، بالحق أو بالباطل ، والحير أو الفير ، والصدق والكذب وهكذا

وليس ذلك فقط بل من وظائفه يمس أنه يسط به لوزن الأخلاقي ، أو للمنع عن المحظور والمكروه

ومن خصائص العقل ملكة الإدراك التي يسط بها لفهم والتصوير

ومن خصائص العقل أنه يعمل فيما يبركه ، ويعينه على وجوده
ويسخر منه يوظفه وأمراته ، ويبنى عليها نتائجها وحكامه ، وهذه
الخصائص في جملتها تجمعها ملكة الحكم وعصلها ملكة للحكمة

ومن أخصي خصائص للعقل الرشيد ، هو مدبل بسبب التكوين في العقل
الرشيد ، وطيفته الرشيد ، قوى وظيفة الوازع ، والمعرف للمدرك ، والعقل الحكيم
، لأنها مسبقه لجميع هذه الوظائف وعملها مريد من الصبح والسماع ، وللتعبير
بعبرة الرشاد ، حيث لا نفس ولا احتلال وقد يؤسي الحكيم من نفس في
الإدراك ، وقد يؤسي للعقل الوازع من نفس في الحكمة ، وبكل العقل الرشيد
يسخر به الرشاد من هذا وذلك .

وهربسه للتفكير في القرآن الكريم تسمى العقل الإنساني وبكل ما
حيوه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدولاتها ، فهو يحاطب العقل
للاواع والعقل المدرك ، والعقل الحكيم ، والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل
عرضا مقتضب ، بل يذكره مفصلا على نحو لا نظير له في كتب من
كتب الأديان . ()

ومن هنا أيضا كان خطاب القرآن إلى العقل بجميع وظائفه التي بها ، وكل
خطاب إلى سوي الأديان - كما يقول العقاد - فهو خطاب إلى القلب ، وهذا العقل
لمدرك الفهم ، لأنه معن الإدراك والفهم في ذهن الإنسان ، كما يدعى عليه اسمه
في اللغة العربية () .

وقد جاء في المعجم الوسيط عقل - عقلا ترك لاشياء على حقيقتها ،
والخدم أدرك ومبر ، يقال ما فعلت هذا قد عقلت ، وإليه عقلا ، عقولا نج
ويحصى ، والطر عقلا ، انحصر وأروى عند انصاف النهار ، وعقل الشيء

٩٠ سورة الأنبياء: السورة والجمعة بالمعروفة

أمره صلى الله عليه وسلم () وأولوا لأبيهم هم العلاء الخصال من الناس والى هؤلاء كان خطاب القرآن الكريم في سنة عشر و صفا يمكن يصون إلى مجموعتين : هم

الجمعة الأولى

يكون الأمر هيب بالنسبة وفي معنى يستعار الوجود (لهي هي كل شيء ، وكل حال ، هي الاعتقاد ، هي لأفعال وفي الأفعال ، وفي الحركات والسكنات ، وفي السر ، للعانية ، فهم يولي الناس بحفيه الله معرفتهم به حق المعرفة " وفي هذا المحال قوله تعالى ﴿ وبكم في الفصلين حياة ي يولي الأنبياء بكم تتقون ﴾ (سورة البقرة ٢٩ ، مدنية)

﴿ وتزودوا في خير للقاء التقوى واتقون ي أولي الأنبياء ﴾ (سورة البقرة : ١٩٧ ، مدنية)

﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله ي أولي الأنبياء بكم تفلحون ﴾ (سورة المائدة ١٠ ، مدنية)

الجمعة الثانية

فيه الأمر بالتكثير والاعتبار ، ومنها قوله تعالى ﴿ يوتي الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الأنبياء ﴾ (سورة البقرة ٢٦٩ ، مدنية)

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لؤلوي الأنبياء ﴾ (سورة آل عمران : ١٩٠ ، مدنية)

﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لؤلوي الأنبياء ﴾ (سورة يوسف ١١ ، مكية)

الثاني: الإدراك الحسي للأشياء العينية الناتجة عن هذه المجرى كالأرواح في الإنسان ، فثبت لا تدركها بذاتها مباشرة ، ولكن بأثرها ومظهرها في الجسم الذي ينتجها بالحياة .

ومن هذا ، فإن العقل بوسيلة إدراكه لهذه العالم للبيح للصنع لا يجد ثمة مشكلة في معرفه حاله عن وجل لأنه يتصل نحو وجوده ومزجياته ، كما يترجم عن خبرته التي طبع عليها وعابه ليس خلق لها وبهذه يدرك العقل - بيقين - أن ما يتمتع به الكون من نسق وحدته والسياسه عند صوره وما يقوم عليه من ضبط وموازن ، كل ذلك لا يمكن أن يكون قد وجد عبث ، أو هكذا اتفاقاً وصنعه أو عن مادة صماء لا نفس ، بل من وراءه حقيقة ربه حلاله ، وقدره خلافه مبدعه ، بحكمه وجوده وعمداً ، ورعايه وعنايه ، وهيمه ومهبطاً " (صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفتنون) (سورة النمل ٨٨ ، مكيه) ، " أو كان عيهم آلهة ، لا الله لفسداً " (سورة الأنبياء ٢٢ ، مكيه)

يخلص من ذلك إلى أن جميع صور الاستدلال - التي انطلق بها العلماء والمفكرين إلى الله تعالى - ترجع كلها إلى الإدراك الحسي مهما اختلفت طرائقه ، وتباينت مظهرها ؛

سواء في ذلك الشعور بالنفس عند مفراط

أو للمركبة والندام عند أفلاطون .

وسواء في ذلك السببية عند أرسطو .

أو الحدوث عند المتكلمين

أو الإمكان عند الفلاسفة المسلمين ،

أو معرفة الذات عند ديكارت

أو الدليل الوجودي عند ليبنتز

هو "إشهاد بالخلق على الخلق كما هو الحال في الصوفية

١ " لقد في كل د شدة لا علم على أنه الحسي مر
فريد أو عب وتصررت مثالا لتوضيح النص

لقد استمر الفلاسفة المسموعين بلبس الوجوب والإمكان وهو بين
الغرابي ، جده على ابن سينا وهذا الدليل مشهور بأنه طريق المعقولات
المحصنة ويسمى هذا الدليل كما يقول الفارابي " من الموجودات على
صديقي

بعضهم أن عسر دانه به يجب وجوده ويسمى ممكن الوجود

والثاني أن عيوب دانه وجب وجوده ، ويسمى وجب الوجود

و ممكن الوجود هو ما استوي في امره الوجود والعدم فلا على إن
لوجوده عن صفة

وهذه العنة إما أن تكون ممكنة فلا بد لها من علم ، ولا يجوز في
الأمياء الممكنة " و يمر فلا نهية في كونها علم ومعلومه ، ولا يجوز كونها
على سبيل الدور من لأنه من النهاية التي سبىء وجب هو الموجود لأكون
وبذلك هو الله تعالى " ()

وأصبح أن هذا الدليل من من أوضاع المحمود بعد العائد ، فهو صعب
من الوجود إلى العدم وبالعكس وهذا هو بيان الممكن الذي استوي طرفه
الأحوال العدد فيه سبىء ما حدد دانه ، يستحيز مرجح أحد طرفيه على الآخر
فلا مرجح كب عمر العلم بانه وهذا في شكره وجب الوجود الذي

التعكير الفلسفي في مسئلة ٣٦ ج د عبد الطيلع محمود ط ٩٧٤

نقلا عن الفارابي في عيوب المصطلح

٩٤ التي كنية أسماها نعيم والجموع باسمه (١) (٢)

وجوده من أنه بالنظر إلى أنه وهو اسم الجود لا يحفه نعيم ، ويستعد منه كل موجود وجوده حقا ويبدع وهممة وتكبيراً

العمل في عن طريق التراك الحسي قادر على الوصول إلى الحقيقة من حيث المبدأ ، والحقيقة لا راء ذلك من يتق بنك الحقيقة ، لا يوه من صفات الجلال والكمال والأفعال قد نعمها إلا يوحى من الله بتلايك وعالي ، ولك في ذلك سبيلان :

للدليل الأول لقد وصل رسعوا () على سبيل المثال التي معرفه الله عز وجل ، واطلق عليه عدة اسماء المحرك (أب) ، المحرك الذي لا يتحرك العنة الأولى : علة الفعل ، منبأ الكائنات

ويكن حينما اتفق بكنم عن نعيمه إليه - الذي مبين له أنه التصوره جوهر دائم غير متحرك " - اعتبره لا يعلم العالم ولا يعنى به فإن من ثبته ما عدم روده خبر عن رؤيته الوسيه ان سبيله ذكر العايد فبحة ذاتها نفس والنفس على الله تعالى محال

الدينين الثاني ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي والبيهقي وابن حجر عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي - (ﷺ) يا محمد انسب ما لك ، قال : الله بعاني (قل هو الله أحد * لله قسمة * لم يكد ولم يؤلد * ولم يكن له كفواً أحد) (سورة الإخلاص)

قال ابن كثير قال عكرمة بن قائل اليهود نحن نعبد عزير بن الله وقال النصراني نحن نعبد المسيح بن الله وقال المجوس نحن نعبد الشمس والقمر وقال المشركون نحن نعبد لاوتان ، فأمر الله عزى رسوله (ﷺ) قل هو الله أحد " (٣)

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص (١٧) وما بعدها يوسف كرم ص

٢ - مختصر تفسير ابن كثير ج ٢

وفي النهاية يؤكد على أن للصورة العقلية ، والمفاهيم الكلية ، والنصيب المجردة التي ينبغي إليها العقل ليست محسوسة ، ولا موجودة في الواقع المحسوس ، وإن كان انتزاعها من الواقع ، فإن طبيعتها المعنوية تقتضي تجريدها من كل شاعبه حسية

يقول الكندي ، فينسوب للعرب ،

" و لانبه به كلية وإنما جرية فالكلي هو لأجنس للأنواع ، و لأنواع للأشخاص "

والجري هو " لأشخاص للأنواع والإدراك الحسي هو جريي مستمر ،

لما الإدراك المعنوي ، أي إدراك لأجنس والأنواع ، فإنه واقع تحت الحواس وليس موجود حسي ، وإنما إدراكه يكون بواسطة قوة هي النفس النامية " أعني الإنسانية هي المسموعة والعقل الإنساني "

وهذا النمط من المعرفة ليس ممثلاً في النفس ، وليس صورة تختلج في الحافظة ، ذلك أن الذي يتمثل بنفس إنما هو المحسوس ، والإدراك الكلي إنما هو مجرد وطرح بلا عناصر أثرائه المختلفة المتغيرة ، ويستبعد للمشترك العام

فحينما خرك معنى إنسانيه ، فإن ذلك بتجريد عن اللون مثلاً ، عن الخطوط والعصم ، عن السمة والحافة ، ويبقى بعد هذا التجريد الحيوانية والناضية وهم الأثر المشترك للعام بين جميع أفراد الإنس ، و إنسانيه - إن قد جردت من كل ما هو محسوس - لا صورة لها يتمثل في الذاهن " ()

وإن ذكر السطر الثاني على معرفة الله تعالى من غير وحي فإنه قادر كذلك من باب ، وثني . على معرفته تعالى معرفة كاملة من خلال فهم لما وحي

بقول احزاب "الأسناد الدكتور" محمود فروغ "قد يبرر السؤال عن العلاقة بين العقل والوحي أي السؤال عن كيفية الوصول إلي معرفة حقيقة الوحي القائم ، وعم إذا كان للعقل دور يستطيع القيام به ، أو من حقيقة الوحي يجب أن يؤخذ بمعزل عن العقل ، عن طريق اعتقاد مجرد لا مجال فيه للتفكير ؟

ويجب العلم على ذلك من مهمة العقل هي أن يفود إلى معرفة وجود الله ومعرفة وحيه ، ويرفض هذا - بوصف هو - الرأي للحاطي الذي يذهب إلى أن العقل مجرد المنطق والحبس ، ويدين أن رفض العقل من جانب بعض الصوفية يقوم على هذا الرأي الباطل" (١)

وبعد كان الوحي من الله ، وللعقل - كذلك - محالون به ، فيه - والحال هكذا - يصبح من الطبيعي أن يكون للعقل دور في فهم الوحي ، وهذا ما أكدته الوحي الإلهي ، فهو لا يحجز على العقل ، ولا ينمي دوره في فهم النص ، بل يدع له مجالات رحبة يعرض فيها ويصور ويجوهر صالفاً بولغرت به شروطه لاجتهاد المعبر ،

في هذا يقول الشيخ يوسف القرضاوي "إن وجود النص الإلهي المعبر ليس عائداً للعقل عن التحقيق والإبداع ، فاد ترك الوحي للعقل مجالات عديدة يثبت فيها ذاته ، ويبرز قدراته .

نقد ترك للعقل أمور كثيرة في مجالات متعددة

أ ترك للعقل في مجال للعقيدة أن يهتدي إلى أعظم حقيقتين في الوجود .

الحقيقة الأولى وجود الله ووحدايته وجود الله كما يهدي إليه القطرة لساومه يقتضيه كذلك المنطق الصحيح والعقل الصحيح

الذهبية الثانية : يجب الوحي والنو : الرسالة : فانفع من الذي يجب
يمكن ذلك ، وهو عد بالفع : ون هذ المعص للمعين ريمون من عند الله

العقل هو الحكم الأول و الأخير هي هذه العصيه ، ولا منح هذ الاستدلال
بالفعل وبصوص الوحي : إذ كيف يستدل بما لم يجب بعد

، يهد ذال علماء الإسلام العقل منسب للقل ، وبذلك أن العقل - بعد
اقتناعه بوجوده تعالى وكماله سبحانه - يعلم ن من تمام حكمة الحكيم ،
ورحمه الرحيم لا يترك عباده سدى ، إلا يدعهم في سبي من الجهالة والعمى
والمي وهو قادر على أن يهديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور عن طريق
مبينين عنه

والعقل بعد ن يعلم ذلك لا يعلم نكل من ادعي أنه رسول من الله ب
بطلانه بما يجب صحة رجوعه ، وأنه يمثل نفسه ، ولما يمثل إرادة الله الذي
رسنه فيبطله بإليه المعجزة التي لا يدر عليها ، لا الله تعالى .

ب - وترك الوحي لتعقل في مجال التشريع أن يصول ويجول في فهم
النصوص ففرع على لأصوب ويعيش على العروج ، ويستبطل الأحكام ،
ويكيف الواقع ويرعى للفو عد في جنب المصالح ، ويره ففاسد ورفع الخرج
وتكبير الضرورات بعد ها ، وعتبار للعرف ورعاية للرعاش والعكاش .

ج - وترك للعقل في مدار الأخلاق أن يصدر حكمه وهتوده في كثير من
الأعمال التي ينبغي فيها الخير بالشر ، ويمسبه الحلال بالحرم ، ولم يفعل شأنه
بجانب الوحي كمصدر للإلزام الأدبي ، ومقياس منحكم للحقني

د - ثم ترك للعقل بعد ذلك أن يجول في أفق هذه الكون للعربص من شأن
صعد إلى الأفكار ، وهابط إلى الأرض ومملاً في النفس (وفي أنفسكم
أفلا تبصرون) .

و برك للعقل أن يستفيد من تجارب الآخرين ، ويستفاد منراث السابقين
ومعارف لللاحقين ، فاعلم يا كوني الأبرار ()

هذا هو لعقل ، تلك الهيئة الربانية التي بها القدرة على الإدراك والتأمل
والعكبر والرشد والحكم ، وكذلك القدرة على إدراك المفاهيم العامة المجردة
المنبثقة من الواقع أو بعيداً عن الواقع المحسوس فبها وراء للمعاد على وجه
العموم ، والحقائق لأزنيه المصنعة على وجه الخصوص الحق ببارك ومعالي
(الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)

ثالثاً الإدراك الإشراقي

نقد نصحنا من المعرفة التي نحصل عليها من خلال العقل معرفة
كسبية نحصل عليها بالتعميم ، وبمصل بها إلى الله تعالى من حيث المبدأ ،
وبالجملة على نحو ما نوضحه من قبل ، ولكن من الناس من لا يقع بهذا
الصرى ، ويضع في المعرفة المباشرة الكاملة عن طريق الطريقة الروحية ،
والمجاهدة النفسية ، فهو تجربته شخصية ، والمعرفة فيه وهيبه لا كسبية

يقول الإمام العزالي الطريق تقديم المجاهدة ، وهو للصعاب الصعوبة
، وفصح للخلق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، مهما حصل منك
كبر الله للمعوي قلب عبده والمنكسر به بتوحيده بالوحد العم ، وبأن تومي الله بمر
القلب ، فاصب عليه الرحمة ، واشرق للوحد في القلب ، وفشروع المصدر ،
وكتشف به من المنكوب ، ونصنع عن وجه القلب حجاب العرة ينظف الرحمة ،
ونألات فيه حقائق الأمور الإلهية ، فإذا ما حصل تلك كانت للمتهددة ()

هذا هو الصريق الإشراقي للصيرى الروحي يفتح من خلاله للصالحين
من عباد الله على الملأ الأعلى فيكشف لهم ما لا يكتشف بغيرهم من عباد الله

- ١ - تفصيل العامة للإسلام من (٥٦) وما بعدها بالمختصر ، ١ / يوسف القرضاوي
مكتبة وهي بالقاهرة ، ط ٢ (١٩٨٢ م) .
- ٢ - عندك من الضلال من (١٦٧)

٩٩ مِلَّةٌ كُلِّهَا أَطْوَلُ الْعَبِيدِ وَالْجَهَنَّمُ بِالصُّوفِيَّةِ حَمَلٌ

وهو طريق المحققين من الصوفية وهم أولياء الله الذين عبوا ووالوه ، كما يقول سبحانه لإسلام ابن ميمية " فأحبوا ما يحب ، وبيعوا ما يبيع ، ورصوا بما برصوا ، سخطوا بما يسخط ، وأمرو بما أمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا من وجب أن يعطى ، ومنعوا من يجب أن يمنع ، كما في الدرردي وغيره عن النبي (ﷺ) أنه قال " وأوتى عري الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وفي حديث آخر رواه أبو داود قال من أحب لله ، وبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان " (١) .

إن الطريق الصوفي معقد بالكتاب والسنة ، كما يقول الجديد سيد هذه الهدى " من لم يحدث للقرآن ولم يكتب السنة لا يفندي به في هذا الأمر ، لأن علم معقد بالكتاب والسنة " (٢) .

ومن هنا يصح أن التصوف للصحيح لا يسقط العقل والعلم والتفكير من الحساب ، وكتب الصوفية للكبار تدفق بملك وتؤكد وتحت عليه يقول الحوت المذكور محمود رفروق " إنه عن طريق العقل يمكن استيعاب الشروط الأساسية الثلاثة شخصون على المعرفة الصوفية ، وفي ذلك يقول الطبراني " تعلم من العلم الندي - وهو سرور نور الإلهام - يكون بعد السيرة كما قال الله تعالى ﴿ ونفس وما سواها ﴾

وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه :

- أحدها : تحصيل جميع العلوم ، وأخذ الأول منها
- والثاني : الرياضة للصائفة ،
- والثالث : التفكير .

فإن النفس إذ سحبت وأربست بالعلم ، مع تفكير في معانيها شروط التفكير يفتح عليها باب العيب فالمفكر لا عنك مبدئ الصواب يصير من

١ - مجموع الطوسي ، كتاب فتاوى من (١٦٠) ج ١٩ .

٢ - الرسالة القشيرية ص (٢٥) .

دي لأكياب ومنفتح روره من عالم العيب في قلبه ، فيصير عالم كاملا ملهم مؤيدا " (١)

المعرفة الإشرافية ممكنة :

من هذا النوع من المعرفة ، الإشرافية الروحية ممكن لاوقع ، ويرى الإمام الغزالي أن للدليل القطع الذي لا يقدر أحد على جده أمرين

أحدهما عجائب الرؤيا الصائقة ، فإنه يكشف بها للعيب ، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أبدا في اليقظة ، فلم يفرق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس ، ونعم اشتغالها بالمحسسات .

والثاني أخبار الرسول (ﷺ) عن العيب وأمور في المستقب ، وإذا جاز للنبي (ﷺ) جاز لغيره إذ قلبي عبارة عن شخص كوشع بعنائق الأمور ، وشغل بإصلاح الخلق ، فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكشوف ولا يشغل بإصلاح الخلق ، وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى نبي

فمن آمن بالأنبياء ، وصلى بالرؤيا الصحيحة لزومه - لا محالة من يعرف بالبصيرة ، لو بتعبير آخر أن يعرف بباب القلب يفتح على عالم الملكوت ، هو باب الإلهام ، وفتحت في الروح والوحي

ويؤكد الإمام الغزالي ذلك بنموذج السراج من القرآن الكريم على قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن يَشَأْ اللَّهُ يُجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ فيس نوراً يعرف بين الحق والباطل ، ومن الله قوة (ﷻ) " من علم بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم " وسئل (ﷺ) عن ماله تعالى ﴿ لَقَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نَوْرٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ م هذا المرح ؟ فقال هو التوسعة في النور إذ تحذف به

﴿ مِلَّةُ مُحَمَّدٍ آتَتْهُ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ وَالْمُحَمَّدُ بِالْمُحَمَّدِ ﴾ ١٠١

إني لأعجب ، أنسج له الصدر وفنخر ح وقال عليه الصلاة والسلام " إني من أمي محدثي ، ومعلمي ، ومكلمي وإن عمر منهم " { }

ويزيد حد أوصى قومه تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعْظِمُوا اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ { البقرة : ٢٨٢ ، مدنية } .

وكنك قصة للعبد الصالح مع موسى عليه السلام ، هيها قومه تعالى
(فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من ناسنا علماً)
(فكيف : ٦٥ ، مكية) .

هو هو العلم للنبي ، وهذا هو طريقه ، وبذلك غيبت التي يعبر عنها
للعالي بقوله ، " ولم يكن ذلك ينظم نبي ولا يربيب كلام من يور بقدفه الله
تعالى في الصدر ، وبذلك النور هو مفتح أكثر المعارف ، فمن هنا من الكنف
موقوف على الأدب المحرر ، فقد صير رحمة الله الواسعة (١)

الوحي الإلهي

لقد فكشفنا - مع سبق - من المعرفة بالله عن طريق العقل بالقصة فهو
بعض فيها من حيث المبدأ وبالجملة وليس بالتفصيل كما من المعرفة لإشراقه
بجزبه شخصيه ، لا يفسر عنده سوي الصالحين من عباده الله رب العالمين

ولهذا وبعبارة ، لم ينص حكيم الله بحاني أن كنف بالإنسان من المذهب
القوم ، المعصوم من الضمأ والذي يهدي - بحق - إلى الذي هي أقوم في
الدنيا والآخرة .

من هذا كانت الرسالات الإلهية والوحي الإلهي ، ومسك الحنك من
لغير أن الكريم ، تزييل من رب العالمين ولا . يب فيه هدي للمنفقين

١ - الإحياء ج ٢ ص (٢) وبهذه

٢ - المنقذ من الضلال ص (٨٥)

وفي المتن نذكر نبي كتاب فضائل القرآن - عن علي كرم الله وجهه قال
 إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول " سيكون مني ، قلت ما للمخرج منها ؟
 قال كتاب الله ، به بدأ ما قبلكم ، وخير ما بعنكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصن
 ليس بالهوى ، هو الذي من بركة من جبر قصمه الله ، ومن أبغى الهدى في
 غيره فصله الله ، فهو حب الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم
 وهو الذي لا يريج به الأهواء ، ولا تلتبس به الأنسة ، ولا يضيع منه الاعتماد ،
 ولا يحترق على كثرة الرد ، ولا تنقصي عجائبه ، وهو الذي لم تكنه للحزب إذ
 سمعته أن قالوا (**إِنَّمَا سَمِعْتُ قُرْآنًا عَجَبًا**) هو الذي من قال به صدق ، ومن
 حكم به عدل ، ومن عمل به أجز ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم (١)

لقد جاء القرآن الكريم بالمعرفة الربانية الكاملة بكل ما ينبغي على الإنسان
 أن يعرفه حق المعرفة ، فبالله وهي الإنسان ، وهي الكون والحياة

في الحديث عن القرآن لا ينتهي ، ولا يوصى عن كثرة الرد والظن ، ولا
 تنقصي عجائبه .

بين الوحي والعقل

وحسبنا في هذا المجال ، مجال المعرفة أن نشير إلى مدى احترام الوحي
 لعقل الإنسان - فالعقل من الله ، والوحي من الله ، ومن هذا لا يتعارض العقل
 الصريح والوحي الصحيح في شيء ، وإن ما ظن نمرود أن هناك تعارضاً بين
 العقل والوحي ، فإن ذلك يرجع إلى تقصير في الفهم ، أو جهل في البصيرة مع
 الوحي

إن عما حاشا أذكوا هذه الحقيقة ، ونهبوا عقابها ومن ذلك شبح الإسلام ابن
 تيمية ، الذي وصع كتاب كبير في ذلك بعنوان "رد معترضين للعقل مع النقل"
 أو موافقة صريح المحقول لصحيح المنقول .

❦ مجلة كلية أصول الدين والجمهورية بالعرفية ١٠٣

ويقول الإمام الخراساني في العلاقة بين العقل والشرع إنها "علاقته لاساسا بالبناء فالعقل اساس والشرع بناء ، ومن يعني لاساس ما لم يكن بناء ، ومن يبنى بناء بغير اساس ، وقصارى امر العقل ان يعرف الأمور الكلية كحسب القصور ، والعفة ، والعين وغير ذلك " . ان يذهب الخراساني إلى أكثر من ذلك فيقول " للشرع عقل من جرح ، والعقل شرع من دخل ، هه متعاصدين من متحداً " (١) .

وعلى ضوء هذا يقرر الإمام انه لا ينبغي بالعقل عن السمع ، ولا ينبغي بالسمع عن العقل ، فالداعي إلى محصل التوفيق مع عرب العقل بالكلية جاءه ، والمكتفى بعقل دون نور الشرع والسمعة معزوز (٢)

وفي رسالته للتوحيد يلهم محمد عبده يقول " نأجى للعقل والدين لأنهم مرده في كتاب مفلس على مسار عبي مرسل بتصريح لا يعين للتأويل "

ونقرر بين المسلمين كافة لا من لا ثقة بعفة ولا بدينه ، أن من قضاه الدين ما لا يمكن ، لا اعتقاد به إلا عن طريق العقل ، كالعلم بوجود الله وبغيره على إرسال قرآن ، وعلمه بموحى به إليهم ، وإرادته لاحتصاصهم برسائله ، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة والاعتقاد بالرسالة نفسها .

كم نجمع على أن الدين إلى جاء بشيء قد يفهم على الفهم ، فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل " (٣)

ينص من هذه كله مدي التصادم بين العقل والوحي ، ولكن ما هي المبادئ التي يقوم عليها هذا التصادم ؟

١ - معارج القدس ص (٦٠) ، طبعه الكردي

٢ - المرجع السابق

٣ - رسالة التوحيد ص (١٥) دار احياء العلوم ، بيروت ط ٥ سنة ١٩٨٥

في هذا المجال بحثت كتاب "إسلامية المعرفة" فيقول " هذا التطبيق المنطقي بين العقل والوجدان المطبوع والوطني ، وما يعني به الوحي ، هو الخطر مبدأ عرفته نظرية المعرفة ، هذا التطبيق قائم على ثلاثه مبادئ ، نذكر عليها المعرفة الإسلامية كلها

الأول أن وحدة الحقيقة المطلقة تفرض أنه لا يوجد تعارض بين الحقائق الواقعية ، وما يأتي به الوحي فكل ما يفرزه الوحي لا بد أن يكون منسجم مع الواقع موافقاً له ...

للثاني أن وحدة الحقيقة المطلقة تفرض أنه لا يوجد تعارض لو خلاف لو تفاوتت منطق بين العقل والوحي ...

الثالث أن وحدة الحقيقة المطلقة تفرض أن باب النظر والبحث في طبيعة الحق في أي جريته منه لا يمكن أن يحق ، وذلك لأن سن الله في خلقه غير محدودة ، فهم عرف منها ، ومهم نعلمها في هذه المعرفة فلا يزال هناك المزيد منها يكتشف ويسخر ... " (١)

ومن هذا كتاب عناية القراء بتوجيه العقل والمنطق والتكبير في كلماته الربانية الكريمة ﴿ كِتَابُ الرِّمَاءِ إِلَيْكَ مَبَارَكٌ نَذِيرٌ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة ص ٢٩ ، مكية)

﴿ مَثَلَةٌ كَالْيَدِ أَطْوَلُ الْبَصِيرَةِ وَالْبَصِيرَةُ بِمَسَافِقَةِ ﴾ ١٥ ١ المصدر الأعلى للمعرفة

لأن يستطيع القول بأن المعرفة للعالم تمثل فهم باطني

ولاً ، العقل . تلك الممنكة للربانية التي تفرس بها على الإدراك والتأمل
والتفكير وغير تلك من العمليات المعقدة الأخرى . وكذلك القواعد العقلية
للعنصر ، كالتصور الساقط ، للصحة وبطلان الدور والمفهوم . وهكذا

ثانياً البصيرة . وبذلك فهم يتمتع به من إلهام ، ورزق صادق ، وكشف
رباني للمصالحين من عباد الله .

بأن المعرفة التي تحصل عنده من خلال العقل ناقصة لأنها من حيث العباد
وبالجسم . وليس فيها التفصيل المطلوب الذي يحقق المعرفة الكاملة

وأما المعرفة المستفادة من البصيرة فهي تستفيد بالتجربة الشخصية ، ولا
يستطيع كل إنسان أن يصل إلى الصفة من الناس

من هذا اقتضت حكمة الله تعالى - لعلي القدير ، العظيم الخبير المنطوق
الرحيم أن يرسل للناس أنبياء ورسل هذه ومعهم ، مبشرين ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا
فَإِنَّكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوْحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَآدَمَ وَنُوحٍ وَعِيسَى وَإِذَا يَبْرُؤُا وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ
وَدَاوُدَ رِيبُور * وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ يَقْضِصْهُمْ عَلَيْكَ
وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْوِيم * رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ غُنًى إِنَّهُ
حَاجَهُ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ ظُلُمًا عَمِيرًا حَكِيمًا ﴾ (سورة البقرة ١٢٣ - ١٦٥)

بأن هذا الوحي الإلهي قد جاء بالمعرفة العليا الكاملة ، والبصيرة بها يخفى
لعمامة الصموي منها . وبهذا يمكن للناس التيقن بمسؤوليته ورسالته في الحياة
صعب جهده وظروف حياته

إن هذه اللوحى الإلهي يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الله مبارك ومعالى - هو المصدر الأعلى لمعرفة ، أو هو مصدر المصائر ، الذي ليس بهمة مصدر آخر بل هو حد الكمال ، فالكمال لله وحده

تلك حقيقة مؤكدة لا ينقص من قدرها إنكار منكر ، أو وجود معاند ومكابر ، كعب وهو الخلق العظيم ، العلى الحكيم ، وعلى كل شيء قدير ، وبكل شيء محيط

﴿ وعندة مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تصف من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (سورة الأنعام ٥٩ ، مكية) ، والنبوة أن الخلق من الله ، والعلم من الله ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ (سورة البقرة ٢٨٢)

ضوابط ومعايير

إن المعرفة هي التصور الإنساني لا تعمل هكذا دون قيد أو شرط بل تحتاج إلى ضوابط تبسطها لكي يعين العقل ويضمن إليها القلب ، ويسدريج إليها للنص ، خاصة إذ كانت تلك المعرفة متعلقة بالحقيقة الأثرية المطلقة ، فنصبح عيوننا تتعد في القلب ، ورسوخ فيه بغير ، لأن العقيدة لا تبني إلا على يقين وتلك هي الضوابط والمعايير .

أولاً الضوابط ومن أهمها ما يلي -

١- التفكير الهادي

إن أولى الخطوات إلى اليقين تبدأ بالتفكير الهادي الرصين ومجاهدة إبعاد شتى المؤثرات الدخيلة والحارضية ، وفي هذا هو الله تعالى ﴿ قل إنما أعظكم بوجوه أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ﴾ (سورة مائدة ٤٦ ، مكية)

هذا التفكير الهادي يربط إلى سويجه طبيعه تلك السيجة لكي تكون مؤكدة
بديهي فإنها تحتاج إلى دليل

والبرهان الكبريم يستعمل كلمه " البرهان " في مجال المعينه لأن البرهان
سيد الأدلة ، ولقوي حجة من كل دليل " .

﴿ وقلوا من يدخل الجنة لا من كان هودا او نصارى تلك أمانيهم قل
هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (سورة البقرة ١١٠ ، صفيه)

﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم فانظروا إليه فاعلموا ﴾ (سورة
سورة البقرة ١٢٩ ، صفيه)

﴿ ام اتخذوا من دونه لاهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من منى وذكر من
قيل ﴾ (سورة الأنبياء ٢٤٠ مكية) .

﴿ إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (سورة النمل ٢٥٤ ،
مكية) .

﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه
يطلع السالكين ﴾ (سورة المومنون ١٠٧ ، مكية)

نخلص من هذه الآيات ومثلها إلى أمرين -

الأمر الأول أن الدعوى لا تقبل إلا بدليل ، ولا برهان - كذلك ، لا بدليل

الأمر الثاني من العبارة بصيغة حاسمة لا تنبى ، لا على يقين - كما قلنا
ومن ثم لا بد أن تؤكد بالبرهان ، الذي هو سيد الأدلة ،

إن استعمال البرهان يؤكد ذلك فهو " اسمي صور لا استدلال ، لأنه
يعتمد على أساس من مضمون بعينه ، وينتهي بعد ذلك إلى نتائج بعينه ، ولو صح

صوره التي هي الرياضيه ، هي قديله " فقد يكون مجرد أماره أو ظهريه معبده ،
أو شهادة مفهده ، أو صريحاً من الاعتكالات المصطنعي " ()

٢ - تعلم

وإن كان البرهان سيد الأدلة ، والأقوى حجه ، فإنه لا يكون إلا بعلم ولا
يخلق عن جهل من هه كائن عتيقه للإسلام بالعلم ، وفرص بعلمه على كل
مسلم ومسلمة ﴿ هل يستوي للذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا
الأنساب ﴾ (سورة الزمر : ٩١ ، مكيه) .

﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو الأنعام فأما بالقيسط ﴾
(سورة آل عمران : ١٨ ، مذبذبه)

﴿ إنما يخشى الله من عباده العظيماء بن الله عزيز غفور ﴾ (سورة فاطر
: ٢٨ ، مكيه)

والعلم هي الإسلام مطبق في كل المجالات لا يحده حدوده ظالم كان
علماً بالعلم للآسمان والحياه ، وهي هه دفع أقوى للعقل أن يجد ويجهده فيبتكر من
العلوم ما يشاء ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ .

وإنه كان للعلم بشرف موضعه في شرف العلوم هي العلوم الدينية
وأعظمها قدر وشرف على الإطلاق علم العقيدة حيث معرفة الله تعالى ، وما
يتبعه من سجدته والتسبيح من صفات جلاله والكمال الخ وكذلك قد دفع عن هذه
العقيدة والتسبيح للهجامة الشرسه من قبل المعتندين والمعتندين ومن على شأنكهم
من الممردين

٩ ١ ١٢٤٦ ملاحظة كريمة أطوار تديرها والحياة بالعبودية في (الحق) عيسى

من هذا جانب العلوم عند الله عيسى نوع هو عيسى على كل فرد من المصممين ، ذلك هو العلم بالجلال والحرمان بالقدر الذي يمكن التمييز من معرفة عيسى ، وعبدته ومعاملته وإخلاقه ، الخ .

١٢٤٦ النوع الآخر فهو العلم بصفات العلوم على مستوى التخصص وذلك دروس كعامة و لأمه في مجموعها مكله بأن حصص طائفة من أبنائها لكل فرع من فروع العلم الذي تحتاج إليه في حياتها ، كالطب والزرعة والهندسة والكيمياء ، والتشريح ، الخ .

وإذا ما تحقق لأمة الإسلام الوفاء بهذه العلوم فإنها بلا شك تقيم حصصها الإنسانية كريمة تقوم على العلوم والعمل .

١٢٤٦ من هذا يبين مدى حرص الإسلام على العلوم ، لأنه لا إسلام بعبر علم والعم عندنا دين منطقته «الإيمان بالله» وعبدته القصوى معرفة الله ورصاه

١٢٤٦ ومن صوابط المعرفة موانعها للمعقول والمفسور أي مواجهة العقل الصريح للمعقول الشرعي الصحيح ، ليس في نتائجها محسب ولكن في وساقها نصب حيث أن العاية لا يبرز الوسيلة في الإسلام وسيأتي بيان وتوضيح هذه الموضوع في حديث عن " التتبع بين التوحى والعقل " في منه الله

١٢٤٦ ومن الصوابط نصب التطبيق بين الحقائق العلمية والحقائق الفكرية ، والمنعقدات الإيمانية ، لأن المصدر لأول بكل هذه الحقائق واحد ، هو الله تعالى ، ونحن ثم لا يحفل ولا يقبل للتعارض بينها

١٢٤٦ ذلك هي أهم للصواب والحقى تراها صمات حتمية من أجل الوصول إلى معرفة يقينية .

ثانياً المحاذير

وعلى ضوء هذه للصوفية نكتصيح المحاذير التي ينبغي الابتعاد عنها ، حتى لا نقع في خلط أو تشويش ، أو تمويه ، ومن أهم هذه المحاذير - يلي -

١ - التحرر من سيطرة أهواء ، الأغراض :

﴿ أفرأيتم اللوات والعراى * ومدة الثالثة الأخرى * الحكم للذكر وله الفنى * تلك إذا قسنة صيروى * إى هى لنا أنعام سميتموها لقم وآهلوكم ما لى الله بها من سقمى إى يشعوب إى الظن وما تهوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ (النجم ١٩ - ٢٣)

﴿ فى لم يستجيبوا لك فاعلم أنى يشعوب أهواءهم ومن اصل من اتبع هوى بعير هدى من الله إى الله بهدى الطوم الظالمين ﴾ (العنص ٥٠ ، مكية) .

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ونصنه الله على علم ﴾ (الجاثية : ٢٣ ، مكية) .

٢ - التحرر من الجهد فى الاعتقاد :

﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بعير علم ويسبق كن شيطان مزبد ﴾ (الحج : ٣ ، مدنية) .

﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بعير علم ولا هدى ولا كتاب مبر ﴾ (الحج : ٨ ، مدنية) .

﴿ قل هل عدىكم من علم فتخرجوه لى ﴾ (الأنعام ١١٨ مكية)

٣ - التحرر من المعتقدات الممبىة للمروية والتقاليد الممبومة

﴿ ١٧١ ﴾ بحسب أطور الدين والمعصية بالمصطفية - ١

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَ أَمْرَ اللَّهِ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُكَ مَا أَفْهَمَ عَلَيْهِ أَتَعْبُدُ
أَوْ بَلْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٧ ، مكية)

﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدُوا
آيَاتِنَا عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ وَإِنَّا عَلَىٰ نَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ (٢٣) قَالُوا أَتُؤْتُوا جَسَدَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آيَاتُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الرحمن : ٢٣ - ٢٤ ، مكية)

﴿ قَالُوا وَجِئْتَ لَنَا خُبْرًا وَمِمَّا يَصْطَلِحُ بِهِ عَمَلُهُمُ الْقَوْمُ وَجِئْتَ بِمَا تَكْفُرُ بِهِ
كُلٌّ مِّنَ الْبَاطِلِينَ ﴾ (الاعراف : ٧ ، مكية)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلِنَا وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِسَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ بِهِ مُكَلِّمُونَ ﴿ ٥٢ ﴾ قَالُوا وَجِئْتَ آيَاتِنَا
عَلَيْهِمْ ﴾ (الأنبياء : ٥١ - ٥٣ ، مكية) .

﴿ وَإِذْ هَمَلُوا مُنْجِثَةً قَالُوا وَجِدْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرْتُ بِهِ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الاعراف : ٢٨ ، مكية)

٤ - التحرر من الظنون والأوهام :

﴿ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا هَمًّا وَإِنَّ الظُّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (يونس : ٣٦ ، مكية) .

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ظَنًّا وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئًا ﴾ (النجم : ٢٨ ، مكية)

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكْنَا وَلَا آيَاتُ وَلَا حُرْمَتًا مِّنْ
شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ رَأَوْا بِأَسْفَافِ قُلُوبِهِمْ عِلْمَ
فُجْرِهِمْ إِنَّ سَعْيَهُمُ الْإِلَاحُ الظُّنُّ وَإِنْ أَنَسْنَا إِلَّا مَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام : ١٤٨ ، مكية)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَوَعْدُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَهِنَّ مَأْتِرَاتٌ ﴾
للمساعة إن مَطْلُ الْإِثْمِ وَمَا حَرُّهُنَّ بِمُسْتَوْتَيْنِ (الحاشية ٣٢ ، مكية)

٥ - لتحرر من الحلال والمكروه

﴿ وَإِذْ كُنَّا لُفُفًا مَسْجُودًا لَدِمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة : ٣٤ ، مدنية) .

﴿ فَكَلِمَ جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْكُتُوا فَظَرَبُوا بِأَنفُسِهِمْ وَفَرَّقَ قَتْلُونَ ﴾ (البقرة : ٣٤ ، مدنية)

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُدِيرٌ مِمَّا رَادَّهُمْ إِلَيْنَا غَوْرًا * اسْتَكْبَرُوا فِي الْآرَافِ وَمَكَرَ الْمُنَافِقُونَ إِذْ يَحِقُّ إِلَهُكَ السُّبْحَى ﴾ (فاطر ٤٢ - ٤٣ ، مكية)

﴿ وَتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ هَادُوا يُخَوِّفُونَ رُسُلَهُمْ وَيَتَّبِعُونَ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَاتِدٍ ﴾ (هود : ٥٩ ، مكية) .

﴿ كَذَّابٌ أَفْعَى ﴾ (العنكبوت : ١٦ ، مكية)

٦ - عدم كتمان العلم

فمن سئل عن علم حكيمه للجمه الله بلجام من نار يوم القيامة . يقول الحق مبارك وبهائي ﴿ الَّذِينَ أَنْتَبَهُمُ الْكُتُبُ يَخْفَوْنَ كَمَا يَخْفَوْنَ أَهْنَاهُمْ وَإِنْ فَرَّقَ عَنْهُمْ يَخْفَوْنَ فَخَفُوا ﴾ (البقرة : ١٤٦ ، مدنية) .

﴿ يَنْ أَلْسِنَ يَكْتُمُونَ مَا أُنْزِلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ أَلَهُمْ وَيُلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الدَّاعُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَنَبَّأُوا وَأَصْحَابُوا وَبَيَّنَّا أُولَئِكَ عَنَّا وَالْأَنْبِيَاءُ الرَّحِيمُونَ ﴾ (الفرقه ١٥٩ - ١٦٠ ، مدنية)

﴿ يَرْجُوا لَكُمْ يَكْفُرُونَ مَا دَرَبَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيُشْرُونَ بِهِ ثَمَّ قُلُوبًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُونُ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا الشَّرُّ وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَرْكَبُهُمْ
وَبِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٧٤ ، مدنية)

٧ - التحرر من سيطرة المتكبرين الجبارين

﴿ وَبَرُّوا، لَهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعُفَاءُ شِدِّينَ اسْتَغْفِرُوا، إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ
أَنْتُمْ خَيْرٌ عِندَ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (بقره : ٢١ ، مكية)

﴿ وَكَوْنُوا إِذْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ الضُّعُفَاءُ لَئِنْ اسْتَغْفَرُوا لَكُمْ أَنَّهُمْ بَكْرٌ مُؤْمِنِينَ ﴾ (س : ٣
، مكية)

٨ - التحرر من سيطرة الحكام الجاحدين الذين كفروا بالله ورسوله
وبصدور عن سببه ولا طاعة لمحدود في معصية الخالق

﴿ قَالِ فِرْعَوْنُ آمَنْتُ بِهِ قَلِيلًا لَئِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْرَمُهُ فِى
الْمَعِينَةِ لَتُفْرِجَنَّهُ مِنْهَا فَكَيْفَ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ١٢٣ ، مكية)

﴿ وَقَالُوا رَبُّنَا أَطْعَمَنَا سَلَاتِنَا وَكَبَّرَ عَمَّا فَصَّلُونَا لِلْمُنْبِئَاتِ رَبَّنَا أَنْتَ
صَافِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَصَمُ لَخَفًا كَبِيرًا ﴾ (الأعراف : ٦٧ - ٦٨ ، مدنية)

٩ - التحرر من سيطرة الوساوس الشيطانية

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا فَبِئْسَ مَا يَرْكَبُ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف : ٢٧ ، مدنية)

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ
وَأَخَذْتُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا

١١٤ ﴿مَنْ أَكَلَتْ لَحْمَهُ أَطَاعُوا أَمْرًا وَالْحَقُّ بِالْمَعْرِفَةِ﴾

تَلُوْمُوسِي وَلُوْمُوْا لِنَفْسِكُمْ مَا أَتَى بِمَصْرُخِكُمْ وَمَا أَتَى بِمَصْرُخِي أَتَى كَهْرُتْ بَعِ
أَشْرَكَتُمْ مِّن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥٢﴾ (يُرْهِيم ١٥٢ مَكِّيَّة)

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَخَسَبُوا لَكَ اللَّهُ أَوَّلُكَ هَرَبُ الشَّيْطَانِ أَوْ بِنِ
هَرَبِ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخَسِرُونَ ﴾ (الْمَجَادِلَةُ ١٥٩ مَدِينِيَّة)

١٥٠ الْحَرَرُ مِّن مَّيْطَرَةٍ الْوَلَدَيْنِ اللَّذَيْنِ يَصْخَبُونَ عَنِ سَبِيرِ اللَّهِ مَعَ حَسَنِ
مَعَامِلِهِ

﴿ وَإِذْ جَاهَدْنَاكَ عَلَى أَنْ تَشْرِكَ بِي مَا يَتَمَنَّاهُ بِكَ بِهِ عَلَّمَ فَلَا يَطْعَمُهُمْ
وَصَاحِبُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَتَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (نَعْمَان ١٥٠ ، مَدِينِيَّة)

تِلْكَ هِيَ صَوَائِدُ الْمَعْرِفَةِ ، وَهَذِهِ مَحَادِيرُهَا ، وَهِيَ تَرَعِي الْمَعْرِفَةَ مِنْ كُلِّ
حَنْطٍ وَتَسُوِّشُ أَوْ تُشْرِيهِ حَتَّى حَاصِلُهَا عِنْدَهُ حَالِصَةٌ مِنْ كُلِّ سِرٍّ وَقَدْ مَدِينِيَّة
مِنَ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ ، فَإِنَّهُ نَصَرَهُ الْحَبِيبُ وَمِنْ أَصْدِقِ مِنَ اللَّهِ حَبِيبٌ ؟ ﴿ لَ
بِمَدِينَةِ الْبَاطِنِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَمْ يَخْلُفْهُ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ عَمِيدٍ ﴾ (فَصِيحَتُ ٤٢ ،
مَكِّيَّة) .

بَعْدَ هَذِهِ ، تَرَى مَا هِيَ الْخَصَائِلُ الَّتِي سَمِعَ بِهَا تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ ؟

خصائص المعرفة

إن المعرفة بالله تعالى معرفة من نوع خاص يبيح بحسن التعرف على
الإلهي وبعد فهمها تتميز بغيرها خاصة ، وخصائص معينة لا تليق بغيرها
من المعارف ، وعلى ضوء ما توصلنا إليه من نتائج خلال رحلة البحث نستطيع
بتوفيق الله تعالى أن نضع على تلك الخصائص ، ونهيئ فهم مري ما
يلي : ”

أولاً : اليقين المطلق

إن اليقين المطلق سمة تلك المعرفة بكل الدلائل والبرهان التي لا يهتص
على بعض دليل محترم فبها يبرهن حسيه وعقليه ، ووجدانية وروية
الخ ويؤكد في الواقع لا جناح إلى دليل فوق كل دليل ، فهي مطلق
القدرة في نفس كل فرد ، وهي الدور للمطلق الذي يمس الكون كله من الملك
والمملوك ” نور على نور “ ،

بيد أن بعض الأدمغة - لسبب أو لآخر - تخشى على أبنائها ويصغرهم
فلم تقو على الروية الصحيحة بدور العقل أو القلب ، ومثل هؤلاء يحتاج المظلم
إلى دليل .

(هذا خلق الله فروعاً من مادة خلق الدين من نوره) (لقمان : ١١ ، مدنية)

﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماء خفق من الأرض لم لهم
شريك في السماوات المومي يكتب من قبل هذا أو أنثروه من علم من علم
صادقين ﴾ (لأحزاب : ٤ ، مكية) .

﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ (الطور : ٣٥ ، مكية)

هذه بعض دلائل التحدي المصوب بدلالة الحق على الخالق ، وأن الخالق
هو الله كما أن من سمعته الحسني الخلق الذي لا يقدر على الحق سواء

وفي هذه الآيات إشارات إلى أقوى الأدلة هي الإقناع والإلزام وبمقدم الخصم .

ففيه التحدي بالمفاهدة ، مما يعني التزم للواقع المحسوس
وفيها كذلك . تحدي الخصم بأن يثبت دعواه بالواقع لنصب
وجها السببية التي يزعم للمادبور أنهم مكتمقوا قلوبهم ، وهكذا

ومحبر يقول إن أحد من المنكرين - مهم كل شأنه في الفكر
والنقد - ثم يستطع حتى لا أن يقدم دليلاً وحده مخبره بفعله العقل فضلاً
عن أولى الألباب ، إن هذا لم يكن ولن يكون

وأما ما برع به هؤلاء باسم العقل فهو غدا ، وهراء والعقل الصحيح منه
برء فلا قيمة له في رحاب العلم ، ومخالف العناء

ثانياً التجرد المطلق

هذه هي الخصيصة الثانية ، ويعني أن هذه المعرفة مجردة تجريد مطلق
عن العادة لأن المادة محسوسة ، وممثلها في الواقع ، ثم هي محسوسة لله ،
مسحرة به ، والضرورة العقلية تفصلي المعايير بين السبب والمصعب ، والصادق
هي المصعب بدليل ما يلحقه من تعبيرات وجود وعدم حركة وسكون ،
اجتماع وتفريق ، لا يفعل أن يكون تلك التعريفات من دمج وبذاتها هذا باطل
على نحو ما أوضحنا سابقاً في موضعه

ثالثاً الحقيقة لأزلية المصلحة

هذه للخصيصة الثالثة ، بها الحقيقة لأزلية الحالة بين حقيقة الحقائق
وإبطالها التي يستمد منها كل موجود وجوده فلا تحدث حدود ولا تفك دورها
سود ، فكل الحقائق مستمدة منها بطريق مباشر أو غير مباشر ، غير أنها في
النهاية ترجع إليها ، ومن ثم لا يمكن أن تتعارض معاً أو تختلف معاً ، فهي
معرضة لمطلب من الخصام ، لا ترفي إلى مستوى الحقيقة

هذه هي الحضيضة الرابعة من الوحدةية المطلقة وذلك من الحقيقة العظيمة وحده على التحقيق ، وما عداها ، فإنه ينصف بالإطلاق سجون لأنه يستمد اختلافه من الله ، أو من العقل الذي هو هبة من الله ، ويعمل بغيره الله لا هذه الوحدةية تنفصي بالضرورة . الوحدة في الذات والصفات ، لا في الوجود وعدم المعاملة أو المصيرية لا شيء آخر ، لا كل شيء آخر إنما يستمد وجوده من سبحانه وبحالتي والضرورة تنفصي المصيرية بين المصيب والمصيب كما قلنا

خامساً أنها مقتضى الفطرة

بل أهم معوماتها الذاتية ، وبإزمتها النفسية ، ومن هنا كانت الفطرة أهم الدوافع في البحث عنها ، والتعرف عليها ، فإن ما حصل عليها يلائق الفطرتان ، فطرة الله في الإيمان ، وفطرته في حق الإنسان

(فاقم وجهك للدين حنيف فطرة الله التي فطر الناس عليها ما تهديهم مخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم ٣٠ ، مكية ١)

سادساً أنها مقتضى العقل

إن العقل بطبيعته مفكك البحث والاستقصاء ، ومن ثم لا يعمل ولا يكل ولا يفر به فراراً ، وراء البحث عن هذه المسائل من أجل ٢ والحي ١ ، وكيف ٣ ونحوه ٤ وقد تحقق أنه ما أراد ولكن من حيث المبدأ وبالجملة وما يزال يسمع في التفصيل فكانت محاولات وجولات ، تحقق فيها جميعها عبر التاريخ ، فكانت معرفته ناقصة ولا توفي إلى الكمال المسود ومن هنا نجف فبره الله بحالتي ، بالوحي فجاء المعرفة للعالم عامة فلا يفتقر منها ، وكامة فلا يبراد عليه ، هب اطمئن العقل فقد جاء الوحي لإلهي الصحيح بما يوافق العقل الحسوس ، على نحو ما يراه في موضوعه من هذا البحث .

نتائج وأثار

إن لأثار الاستفادة من معرفة الله - تبارك وتعالى - في وحيه للكرام -
قرآن وسنة - انعكس على الإنسان في مجالين هــ

المجال الأول تخصيص المعرفة

ذلك أن مهمة الوحي الإلهي ، هدية للبشرية إلى الله رب العالمين ومن هذا
المنصب حكمه تعالى أن يهدي نبي هي أقوم هي نبي المجالات ﴿ بئ هذا
القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم
أجزاءً كبيراً ﴾ (البقرة : ١٢٩ ، مكية) .

ومن هذا المنطلق فإنه يهدي الإنسان إلى التي هي أقوم في عقيدته وعبادته
ومعاملاته ، وأخلاقه ومسوكه .

ومن هذا المنطلق - أيضاً - يهدي الإنسان إلى التي هي أقوم في بناء دالته ،
وتدعيم كيان المجتمع في بيئته

ومن هذا المنطلق - كذلك - يهدي إلى التي هي أقوم في بناء مجتمع إنساني
عالمي يقوم على الوحدة الإنسانية ويوحده الأمن والأمان والطمأنينة والسلام

ومن هذا المنطلق يهدي إلى التي هي أقوم في مجال هذا الكون الرحب حيث
بصوب ويجول في مختلف جساته ومشي مجلاته

ومن هــ حليم يتحدث المرء عن الطبيعة ومظاهرها فإنه يحقق أمرين

أولهما : التعرّف على مظاهر الفخرة الإلهية ، وشم هذا العظمة الربانية في
هذا الوجود .

ثانيهما : دفع العقل إلى البحث والتتقّب فيه ورؤى هذه المظاهر الطبيعية
فيسيطر على المعارف والعلوم

مثلاً حبيب القرآن عن الإنسان ومن حب تكويبه يدفع إلى علم لأجله ، وكذلك الحبيب عن اكتساب الحية يدفع إلى علم لأجله

وكذلك يوجه للطر إلى ألامم المعمره يدفع إلى علم التاريخ مر • الأمام ووعاء للعلوم .

وكذلك حبيب القرآن عن النبات يدفع إلى علوم الزراعة والنبات وكذلك حديث القرآن عن الفكر وصوفيته وأهداه يدفع إلى الفلسفة والبحث عن حقائق الأشياء بعلمه يهدف للعرف على الخبرة الأخلاقية للمبدعه وهكذا وهكذا

ليس معنى هذا أن القرآن مؤلف من علم من العلوم ، فهو ليس كتاب في الطب ولا في الطبيعة والكيمياء ، والذهب الخ

المجال الثاني : توظيف العلوم وأسمه المعروف

ومعني بذلك توظيف المعارف والعلوم بحسب طبيعتها لتحقيق الغاية منها فتكون باعثة ومعيدة للإنسان والحياة وليس ذلك فقط وإنما توصف بحسب ارتباط مظاهرها ونتاجها بقدرة الله ، وخدمة العفيدة الربانية السنية

إن هذا هو ما يهدف إليه إسلاميه للمعرفه ، أو أسلمه للعلوم ، وهذا قد يستشكل الأمر ويستفسر عن بعض الناس ، وخاصة في مجال العلوم الطبيعية ، فمعني بذلك أن تكون هناك كيمياء إسلامية ، وبيولوجيا إسلامية ، ففسر لوجيا إسلامية ... وهكذا .

علم بأنه من المعنوم أن هذه العلوم وغيرها من العلوم الطبيعية لا وطن لها ولا جنس لها ولا نبر لها ، وإنما هي ملك نبيئيه جمع ، وكل أمه تصيب إليها بالقدر الذي يستطيع من قدراته وفكره

وكيف نفهم في مظاهر الطبيعة في شتى مجالاتها إنما هي دلائل مساهمة على قدره الخالق سبحانه وتعالى ، وإن كان هذا حالها في ظن أمرها فإنها في محورها وما حويه طبيعتها لأمر على ذلك بكثير وكثير فإن عالم اليبس حي

يرى في تركيب الكائنات الحية خاصة للخلية الأولى منها ما لا يراه الآخرون ... وقس على ذلك مبادئ العلوم الطبيعية .

إن الذي نعتبه : إنما هو توظيف العلوم توظيفاً إسلامياً ، وتوجيهها الوجهة الإيمانية بالإضافة إلى وظيفتها الطبيعية في الحياة .

ولنضرب على ذلك مثالين :

المثال الأول : ظاهري في مجرى الحياة العادية . وذلك عندما يكتب الطبيب المؤمن وصفة العلاج للمريض فإنه يقول : هذه إمكانياتنا ولناخذ بالأسباب ولكن الشفاء من عند الله .

هذه المقولة تعكس امرين :-

١ - حقيقة إيمانية تؤكد الحقائق الكونية وهي أن الله تعالى سبب الأسباب والمسببات ، ولن الأسباب لا تفعل بذاتها بعيداً عن قدرة الله تعالى .

٢ - تؤثر تأثيراً مباشراً وقوياً وإيجابياً في حال المريض النفسية مما يساعد على الشفاء ، والرضا بقضاء الله .

المثال الثاني : عالم الطبيعة في مخبره يرى ما لا يراه الآخرون فإذا كان مؤمناً أدرك بحق مظاهر القدرة الإلهية وكيف تتصرف في عناصر الطبيعة وخصائصها على حد سواء ، ومن ثم يدرك تماماً أن الأسباب المادية لا تفعل بذاتها وأن خولص المادة ليست ذاتية فيها ، فهذا ما أكدته الفيزياء الحديثة .

ثم إن هذا العالم ينقل هذه الأفكار إلى تلاميذه فيزيدهم إيماناً إن كانوا مؤمنين ، أو يدفعهم إلى الإيمان إن كانوا غير مؤمنين .

إن هذا الذي نقوله ، قد أكدته تجارب العلماء خاصة أولئك الذين لم يعرفوا الإيمان بالله إلا عن هذا الطريق ، وهم كثيرون والحمد لله .

يبقى بعد ذلك الخطوة الأولى والأساسية في تربية الدارسين على ذلك المنهج للتقويم. وهذا إنما يكون بدراسة مادة "الثقافة الإسلامية" إجبارياً وفي جميع سنوات الدراسة بالكلية العلمية على وجه الخصوص .

وليس مجرد تدريس لثقافة الإسلامية كاف لتحقيق الهدف الذي نريد - وإنما تبرزها ضرورة المنهج وتوصيف المقررات بحيث يتناسب مع طبيعة التخصص في هذه المجالات :

وعلى سبيل المثال : طالب الزراعة ، يركز له المنهج بصفة حول علوم النبات والجيولوجيا مع ضرب الأمثلة للتوضيحية لآخر ما انتهى إليه العلم فيها ، وطالب الطب والصيد والصيد والصيد والصيد .. وغيرها .. ويركز المنهج حول خواص المادة إسلامياً مع ضرب الأمثلة بالحقائق العلمية التي انتهى إليها العلم في هذه العلوم ، وهكذا

في هذه الحال يجد الطالب نفسه يعيش واقعة دراسي بما يؤكد التكامل والتلاحم بين الثقافة الإسلامية وغيرها من العلوم الطبيعية .

إنني أقول هذا نتيجة خبرة شيفة وممتعة عشتها سنوات غير قليلة في تدريس لأمثال هؤلاء سواء في تدريس الثقافة الإسلامية أو مذاهب الفكرية المعاصرة .

وقد تأكد لدي أن طلاب الكليات العملية يتميزون عن غيرهم من الطلاب سواء في الإقبال على هذه المقررات ، وسواء في سير الدراسة والتجارب والتفاعل العليموس ، وسواء في نتائج الامتحان ...

تلك هي ثمار المعرفة بالله تبارك وتعالى بالقدر الذي نراه في هذا المجال ، وحسبما يسمح به المقام ، وبالله للتوفيق ...

هذه هي كلمتنا في هذا البحث المتواضع بعد رحلة شاقة اقتضتها منهجية البحث : حيث انطلق من باطن الإنسان ودوافعه الذاتية التي تدفعه دفعا نحو البحث عن المعرفة العليا ، والحقيقة الأزلية الخالدة ، كما تحيط به دوافع خارجية لا يستطيع أن يهملها الطرف عنها .

ومن هنا انطلق بفطرته وعقله وبصيرته بشق طريقه هنا وهناك بحثاً عن الحقيقة حتى تمكن من الوصول إليها عبر رحلة شاقة مضنية . وتبقى النتيجة آنذا من حيث المبدأ لا بالجملة والتفصيل . وإن هو حاول اتقان التفصيلات هوي وضل ، فلا أحد في الوجود يستطيع أن يعرفنا بالله ذاته وصفاته غير الله تعالى بنفسه عن طريق الوحي المعصوم ، بمقتضى حكمته ورحمته ، حتى يمكن الإنسان من أداء رسالته والقيام بمسئوليته ، فيكون بحق أهلاً للتكليف والمسئولية والجزاء .

وفد حاول البحث أن يستنبط لضوابط الكفيلة بضبط تلك المعرفة لأنها تتعلق بالمقائد وهي لا تهني إلا على يقين .

وبعد هذا حاول أن يتعرف على الخصائص المميزة لها فكان له ما أراد بفضل الله تعالى ، وما دعا لتكلم عن المعرفة في التصور الإسلامي ، فإنه يصبح من الطبيعي أن تكون رحلتنا هذه على ضوء القرآن الكريم كتاب الله السماوي الوحيد الذي صحت نسبته الآن على وجه الأرض .

وأخيراً يتوقف البحث عند الحصاد فيجني ثماره ونتائجه التي هي لازمة له على التحقيق .

ولما كان الأمر يتعلق بالمعرفة من ثم كان التركيز على الجوانب المعرفية المستفادة من المعرفة بالله تعالى خاصة .

وكان وقفة خاصة عندما نسمه " أسلمة العلوم والمعارف "

كيف تكون العلوم الطبيعية خاصة إسلامية ، فتوظف إسلامياً بالإضافة إلى أهدافها الطبيعية ؟

كيف توظف تلك العلوم إسلامياً مع أنها لا وطن لها ولا جنس ولا دين ؟

هذا ما يجيب عليه البحث وبالله التوفيق ،،،،